روايات مصرية للجيب

قضية الضابط المزيف

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للناشئين

مغامرات عماد وعزو

٤ × ٢

Looloo
www.dvd4arab.com

١ ــ جريمة شُرطىّ ..

نقل (عصام كامل) ، الصحفى بقسم أخبار الحوادث ، قدميه فى تكاسل وبطء ، وهو يسير فى طريق العودة إلى منزله ، فى الواحدة صباحًا .. بعد أن انتهى من مراجعة تحقيقه الصحفى الأخير ، وتأكَّد من صدور الطبعة الأولى لصحيفة الغد ، وامتلأت أعماقه بنشوة عجيبة ، وهو يقطع الطريق الهادئ ، الساكن ، الخالى من المارة والسيَّارات ، خاصة فى مثل هذا الوقت من السنة ، حيث تشتد البرودة بعد غروب الشمس .. فأحكم ياقة سترته الصوفية حول عنقه ، وأخذ يترنَّم بلحن هادئ ، أعاد إلى ذهنه ذكريات صباه ، ومرح طفولته ، فلم يلبث أن ابتسم ، وأطلق زفرة قوية ، تكثَّف لها الهواء الرطب ، فخرجت من بين شفتيه كسحابة من البخار الهادئ ، مما اتسعت له ابتسامته ، وهو يعود للترنُّم بلحنه القديم ..

ومن نهاية الطريق ، وقبل المنحنى الذى يقود إلى منزله ، لاح له ضابط شرطة فى زيِّه الرسمىّ الأسود ، وهو يجدّ السير تجاهه ،

والنجوم الذهبية الثلاثة ، التى تميّز رتبته ، تتألّق على كتفيه ، فغمغم (عصام) فى إشفاق :

ــ يا للمسكين !.. لا ريب أنه عائد إلى منزله ، بعد نوبة شاقة .

راودته فكرة تحية الضابط ، الذى اقترب منه بخطوات سريعة ، فأخرج كفّه من جيب سترته ، على الرغم من برودة الجوّ ، وكاد يرفعها إلى جبهته ، لولا أن توقّف الضابط أمامه فجأة ، وقال فى لهجة جافة صارمة :

ــ بطاقتك الشخصية .

شعر (عصام) بالدهشة للوهلة الأولى ، إزاء هذا الأسلوب الجافّ ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، حينما تبيّن له أن مثل هذه الإجراءات الصارمة ، إنما تتّخذ لحمايته وحماية الأبرياء ، فالتقط بطاقته الشخصية ، وبطاقته الصحفية ، وناولهما للضابط ، قائلًا :

ــ أنا صحفى بقسم الحوادث بجريدة الـ ....

قاطعه الضابط فى خشونة :

ــ هل تحمل نقودًا ؟

فى هذه المرّة شعر (عصام) بدهشة حقيقية ، وسرَت الرِيبة فى نفسه ، وهو يغمغم :

ــ بالطبع .. ولكن ....

مرّة أخرى قاطعه الضابط فى خشونة ، قائلًا :

ــ دَعْنى أرى ما تحمله حافظة نقودك .

وعلى الرغم من غرابة المطلب ، إلّا أن (عصام) أطاع فى استسلام ، وناول الضابط حافظة نقوده ، وهو يتمتم فى حَيْرة :

ــ وماذا يهمّ جهاز الشُرطة فيما أحمل من نقود ؟

تجاهل الضابط سؤاله ، وفتح حافظة النقود فى اهتمام ، والتقط منها الورقات المالية الثلاث التى يحملها (عصام) ، ثم قال فى لهجة انطوت على شراسة مفاجئة :

ــ أهذا كل ما تحمل ؟

غمغم (عصام) ، وقد تضاعفت دهشته :

ــ نعم ..

ألقى الضابط بحافظة النقود ، والبطاقتين فى حِدّة ، وهو يقول فى خشونة وشراسة :

ــ ناولنى ساعة يدك إذن .

اتسعت عينا (عصام) فى دهشة بالغة ، ثم انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حِدّة :

ــ هل لى أن أطّلع عَلى بطاقتك الشخصية ؟

وعادت عينا (عصام) تتسعان فى ذهول ، فقد فوجئ بالضابط يرفع مسدسه فى وجهه ، وهو يقول فى مزيج من السخرية والخشونة :

ــ ها هى ذى .. ناولنى ساعة يدك بسرعة ، وإلّا انتزعتها من جثتك .

* * *

دارت الأفكار بسرعة عجيبة فى رأس (عصام) ، وهو يتطلّع فى دهشة إلى فوّهة المسدّس الضخم ، المصوَّب إليه ..

لم يكن مبعث دهشته أنه يواجه ضابط شرطة سارق ، يريد أن يسطو على نقوده وساعته .. فقد أدرك منذ رفع الرجل مسدّسه فى وجهه ، أنه إنما يواجه ضابطًا زائفًا .. فرجال الشُّرطة الحقيقيون ، كما تبيَّن له من خلال تعامله الطويل معهم ، رجال شرفاء ، يحاربون الجريمة ، ويبذلون جهدهم وأعمارهم لمكافحتها ، لا لامتهانها ، وإنما كان مبعث دهشته هو مشاعره الشخصية إزاء هذا الموقف ..

لو أنه تعرَّض لمثل هذا الموقف ، قبل بضعة شهور ، لخاف وارتبك ، واستسلم لذلك الضابط المزيَّف ، دون أن يجرؤ على مقاومته ..

كان هذا سيحدث حتمًا ، لو أنه تعرَّض لهذا الموقف ، قبل أن يلتقى بـ (عماد) و (عُلا) ويشاركهما فى محاربة الجريمة ، والخوض فى ألغازها الغامضة ..

أما الآن ، فهو لا يشعر بالخوف ، بل بالازدراء والحَنَق ؛ لأن هذا المجرم الوقح قد جرؤ على ارتداء زِىّ الشُّرطة ، ليستغلّه فى ارتكاب جريمته ..

وعلى الرغم من مشاعره هذه خلع (عصام) ساعته من معصمه فى هدوء ، وهو يقول :

ــ أنت ضابط مزيَّف .. أليس كذلك ؟

أجابه الرجل فى ضراوة :

ــ ليس من شأنك .. ناولنى ساعتك .

مدَّ (عصام) يده بالساعة إلى الضابط المزيَّف ، وهو يتفرَّس فى وجهه ، محاولًا تبيُّن ملامحه ، ولكن الرجل كان يقف فى ركن مظلم ، ويرخى قبَّعته الرسمية ليخفى الجزء العلوى من عينيه ، فى حين اختفى فمه خلف شارب ضخم ، توقَّع (عصام) أنه شارب زائف ، نظرًا لغزارته غير الطبيعية ..

ومدَّ الرجل يده فى لهفة ليلتقط الساعة ..

وفجأة .. تحرَّكت يد (عصام) فى سرعة ، فلكم اليد

المسكة بالمسدَّس فى قوة ، واندفع فى جُرأة نحو الضابط المزيَّف ، وتعلَّق بسترته مشتبكًا معه .

ولكن الرجل كان قويًا كالثور ، فلم يفلت المسدَّس من يده ، على الرغم من لكمة (عصام) القوية ، وتحرَّكت قبضته المسكة بالنقود فى قوة ، لتغوص فى معدة (عصام) ، قبل أن يدفعه بعيدًا فى قسوة ، هاتفًا :

ـــ أيها المغرور .

قفز (عصام) محاولًا النهوض على قدميه ، فعلى الرغم من إدراكه قوَّة خصمه ، وتأكُّده من أنها تفوق قوته كثيرًا ، إلَّا أنه لم يعُد هناك مجال لتراجعه ، بعد أن بدأ بالهجوم ، ولم يكن أمامه سوى أن ينقضَّ على الرجل مرَّة أخرى .

ولقد فعل ...

كَرَّ على الرجل فى بسالة ، وكال له لكمة قوية ، ولكن الرجل تفاداها فى براعة ، وتراجع إلى الخلف ، وهو يقول فى سخرية شرسة :

ـــ إذن فأنت تريد ملاكمتى .. لا بأس أيها التافه .. سألقِّنك أول دروسها .

تراجع (عصام) فى حركة حادَّة ، حينما دسَّ الرجل

مسدَّسه فى جيب سترته ، وضمَّ قبضتيه أمام وجهه ، وهو يتَّجِهُ إليه ..

ازدرد (عصام) لُعابه فى صعوبة ، ورفع قبضتيه أمام وجهه على نحو مماثل ، ولكن الرجل انقضَّ عليه فجأة ، وأدار قبضته فى براعة ، فمرق بها بين قبضتى (عصام) ، وأصاب فكَّه بلكمة قوية ، جعلته يترنَّح ، فى حين أعقبها الرجل بلكمة ثانية ، وثالثة ، فى سرعة ، وبراعة ..

ودار رأس (عصام) ، وعجزت قدماه عن حمله ، فسقط أرضًا ، وبدا له صوت خصمه خافتًا ، كما لو كان يأتى من بعيد ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ لقد اخترت مضمارًا لن تنتصر علىَّ فيه أبدًا أيها الغبىّ .

ثم انحنى يفحص جيوب (عصام) فى سرعة ، وبعثر محتوياتها فى حَنَق ، وقد بدا غاضبًا ، حينما لم يعثر إلَّا على بعض الأقلام والأوراق ، وسلسلة مفاتيح صغيرة .. فألقى كل ذلك جانبًا ، و (عصام) يشعر بدُوَار يمنعه من مقاومته ، حتى نهض الرجل ، وهو يلتقط أحد الأقلام الثمينة ، ويدسها فى جيبه ، قائلًا :

ـــ تبًّا لكم أيها الصحفيون !! ألم تدركوا بعد أن النقود تفُوق أوراقكم وأقلامكم .

ودار رأس (عصام) ، وعجزت قدماه عن حمله ، فسقط أرضًا ، وبدا له صوت خصمه خافتًا ..

ثم ابتعد بخطوات سريعة ، و (عصام) يتابعه فى وهن ، حتى اختفى عند المنحنى التالى ، فنهض (عصام) فى ألم ، وتحسَّس الدماء النازفة من طرف شفتيه وأنفه ، والتقط الأوراق والأقلام ، وأعادها إلى جيوبه ، ثم غمغم فى حَنَق :

ــ ستُوقع بك تلك الأوراق والأقلام أيها الوغد .

وزفر لحظة فى حَنَق ، ثم استطرد فى حماس :

ــ أظن أن هذا الحادث سيثير اهتمام (عماد) و (عُلا) كثيرًا .

وعاد ببصره إلى حيث اختفى الضابط المزيَّف ، قبل أن يردف فى حزم :

ــ وسينطلق فريق (ع×٢) خلف الضابط المزيَّف .

* * *

٢ ــ وبدأ الفريق عمله ..

استمع (عماد) و (عُلا) إلى قصة (عصام) فى اهتمام وانتباه ، حتى توقَّفت كلماته ، وتنهَّد قبل أن يغمغم فى حَنَق :

ــ وهكذا فقدت نقودى وساعتى ، وذلك القلم الذى أهديتماه لى .

لم يتفوَّه (عماد) و (عُلا) بكلمة واحدة ، وإن تبادلا واحدة من تلك النظرات الغامضة ، التى تثير حَنَق (عصام) ، الذى أردف فى حِدَّة :

ــ ولست أدرى فى الواقع لِمَ أخبرتكما بأمر هذا الحادث السخيف ، فهو أمر يخصّنى وحدى ، وهذه القضية تختلف عن كل القضايا السابقة ، فلا يوجد دليل واحد يمكنه أن يقودنا إلى ذلك الضابط المزيَّف .

قال (عماد) فى هدوء :

ــ من قال هذا يا أستاذ (عصام) ؟

رفع (عصام) حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم فى حَيْرة :

ــ هذا واضح يا (عماد) ، فهو لم يترك شيئًا خلفه ، ولم أنجح فى تبيُّن ملامحه ، ومِن الحماقة أن يكرِّر فعلته فى المكان نفسه و ....

قاطعته (عُلا) فجأة فى اهتمام :

ــ هل سمعت صوت محرِّك سيارة يدور ، بعد أن تركك ذلك الضابط المزيَّف يا أستاذ (عصام) ؟

ارتسم مزيد من الدهشة فى ملامحه ، وهو يغمغم :

ــ لا .. لقد ظلَّ الهدوء يسود المكان فترة طويلة ، حتى وصلت إلى مسكنى و ....

بتر عبارته فجأة ، ليردف فى عصبيَّة :

ــ ماذا تعنى هذه الأسئلة المبهمة ؟

ضحك (عماد) ، وهو يقول :

ــ ليست مُبهمة إلى هذا الحدّ يا أستاذ (عصام) .. فلقد ترك لنا ذلك المجرم ــ على عكس ما نتصوَّر ــ ثلاث قرائن يمكنها أن تقودنا إليه ، ببعض الجهد .

وصلت دهشة (عصام) إلى ذروتها ، وهو يتمتم فى صوت شديد الخفوت :

ــ ثلاث قرائن ؟!.. إننى لا أفهم شيئًا .

وأخذ يدير الأمر فى رأسه ، ويسترجعه عشرات المرّات ، دون أن يجد فيما حدث قرينة واحدة ، تشير إلى المجرم ، فعاد يقول فى عصبيّة :

ــ أيّة قرائن هذه ؟

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة غامضة أخرى ، ثم قالت (عُلا) فى هدوء :

ــ دَعْنا نراجع الأمر معًا فى هدوء يا أستاذ (عصام) .. إنك تقيم فى (مدينة نصر) ، ولقد واجهك ذلك المجرم هناك ، ولم يستقلّ سيارة ليعود إلى مسكنه ، بعد أن سرق نقودك وساعتك ، وليس من المنطقى أن يتجوّل على متن درّاجة ، وهو يرتدى زِىَ الشُرطة .. ثم إنه قال : إنه سيلقّنك درسًا فى الملاكمة ، وإنك قد اخترت مضمارًا يستحيل أن تهزمه فيه .. ثم إنه هزمك فى سهولة ، وسرق ساعتك ، وقلمك الذى أهديناه إليك ، وحفرنا اسمك على غلافه بحروف صغيرة .

عقد عصام حاجبيه ، وهو يغمغم فى حَيْرة :

ــ وماذا يعنى ذلك ؟

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

ــ يعنى ببساطة أن الضابط المزيَّف يقيم فى (مدينة نصر) ،

أو فى أحد الأحياء القريبة منها ، كـ (العباسية) ، أو (مصر الجديدة) .. وأنه كان ، أو مازال يمارس رياضة الملاكمة ، على نحو منظَّم مدروس .. ثم إنه يمتلك ، أو باع قلمًا نعرفه جيِّدًا .

تنبَّه (عصام) إلى بساطة الاستنتاج ، فتخضَّب وجهه بُحمرة الخجل ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. هذا صحيح .

ثم أردف فى اهتمام :

ــ ولكن كيف يمكن أن تقُودنا هذه القرائن الثلاث إلى المجرم ؟

هتفت (عُلا) فى حماس :

ــ ستكون هذه مهمتك يا أستاذ (عصام) .

صاح (عصام) فى دهشة :

ــ أنا ؟!

أسرع (عماد) يقول :

ــ نعم يا أستاذ (عصام) .. إنك صحفى معروف ، وسيكون من السهل عليك أن تذهب إلى اتحاد الملاكمة ، وتدَّعى أنك تعدّ تحقيقًا خاصًا عن هذه الرياضة ، ثم تحصل على

كشف بأسماء الملاكمين ، الذين يقيمون فى أحد الأحياء الثلاثة ، وبعدها يمكننا أن نبدأ تحرياتنا .

أردفت (عُلا) فى اهتمام :

ــ ويمكنك أن تستثنى أولئك الذين يمتهنون وظائف محترمة ، تدرّ دخلًا معقولًا ..

فالمجرم الذى يجرؤ على ارتداء ثياب الشُرطة ، مجرم يائس ، لا يملك ما يمنعه من ارتكاب جرائمه .

عقد (عماد) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لا يا (عُلا) دَعِينـــا نحصل على الأسماء أوّلًا ، ثم نستثنى ما نراه مناسبًا فيما بعد .

أجاب (عصام) فى حماس :

ــ إننـى أوافقـك يا (عماد) .. فمـن يـدرى ؟.. ربّما !!

ثم نهض مستطردًا :

ــ ولن نضيع لحظة واحدة .. سأبدأ عملى فورًا .

انتقل حماسه إلى (عماد) و (عُلا) فابتسمت (عُلا) ، وتهلّلت أساريرها ، وهى تقول فى انفعال :

ــ ولن يفلت منّا هذا الضابط المزيَّف أبدًا .

تألّقت عينا (عصام) ، وهو يقول :

ــ نعم يا (عُلا) .. لقد قاده سوء حظّه إلينا .

وامتلأ صوته بالحزم والحماس ، وهو يردف :

ــ وسينطلق الفريق كله فى أثره .. وويل له !!

* * *

تألقت عينا (عصام) ، وهو يقول :

ــ نعم يا (عُلا) .. لقد قاده سوء حظّه إلينا ..

٣ ــ التحرِّيات ..

نهض سكرتير اتحاد الملاكمة من خلف مكتبه ، ليصافح (عصام) فى حرارة ، وهو يقول :

ــ مرحبًــا بك فى اتحاد الملاكمــة المصرى يا أستــاذ (عصام) .. إننى أتابع فى شغف تحقيقاتك فى صفحة الحوادث ، والتى تضيف إليها أسفل توقيعك رمز (ع × ٢) ، وهى تحقيقات رائعة بحقّ .

وقاده إلى مقعد مواجه لمكتبه ، وهو يردف فى تساؤل :

ــ ولكننى أتساءل أى تحقيق يمكنك أن تفوز به من اتحاد الملاكمة ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ إنه تحقيق خاص بالملاكمين الذين حقَّقوا نتائج جيِّدة ، فى السنوات العشر الأخيرة ، والذين يقيمون فى (مدينة نصر) ، و (العباسية) ، و (مصر الجديدة) بالذات .

رفع سكرتير الاتحاد حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ولماذا هذه الأحياء الثلاثة بالذات ؟

ارتبك (عصام) ، وخُيِّل إليه أنه قد كُشِف أمره بهذا المطلب العجيب ، إلَّا أنه أسرع يقول :

ـ سيكون هناك عدد من التحقيقات ، حول الأحياء الأخرى بالطبع .

ظهرت الرِّيبة على وجه السكرتير لحظة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، وقال :

ـ كما يحلو لك ، وبِمَ يمكننى أن أفيدك ؟

لم ينجح (عصام) فى إخفاء تلك اللهفة ، التى سَرَت فى صوته ، وهو يقول :

ـ أريد كشفًا بأسماء هؤلاء الملاكمين ، ووظائفهم .

مرَّة أخرى ظهر مزيج من الرِّيبة والدهشة فى وجه السكرتير ، ثم لم يلبث أن نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى صوان معدنى قريب ، وفتح أحد أدراجه العديدة ، وأخذ يقلِّب الأوراق فى داخله لحظات ، ثم التقط ملفًا ضخمًا ، وناوله لـ (عصام) ، وهو يقول :

ـ هذه هى كل الأسماء ، وعليك أنت أن تلتقط من بينها أسماء هؤلاء ، الذين يقيمون فى تلك الأحياء الثلاثة .

قلَّب (عصام) صفحات الملف الضخم فى ضيق ، وهو يغمغم :

ـ لم أكن أتصوَّر قط أن كل هذا العدد من الشباب ، يمارس رياضة الملاكمة فى مصر !

استرعى انتباهه فجأة بعض الأسماء ، التى شطبت بخطٍّ أحمر متعرج ، فسأل السكرتير فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى هذه الخطوط الحمراء ؟

ألقى السكرتير نظرة سريعة على الأسماء ، ثم قلَّب شفته ، وهو يقول :

ـ إنها أسماء محذوفة ، لسوء سلوك أصحابها .

سأله (عصام) فى اهتمام مضاعف :

ـ سوء سلوكهم ؟!

أومأ السكرتير برأسه إيجابًا ، وقال فى امتعاض :

ـ نعم للأسف .. من المفروض فى كل ألوان الرياضة ، سواء الملاكمة أو غيرها ، أن تهذِّب أخلاق صاحبها ، وتجعله أكثر اتِّزانًا ، وثقة بالنفس .. ولكن يحدث مع البعض للأسف أن تتحوَّل هذه الثقة إلى غرور ، وعدوانيَّة ، ورغبة فى الاستعراض والإيذاء ، وهنا تحذف أسماؤهم من الاتحاد .

ولوَّح بكفِّه ، وهو يردف :

ــ دَعْك من هذه الأسماء .. إنها لن تتجاوز عشرة أو خمسة عشر اسمًا طوال السنوات العشر الماضية .

تألَّقت عينا (عصام) ، وهو يقول فى حماس أدهش السكرتير :

ــ بالعكس .. هذه الأسماء بالذات ستكون أكثر فائدة .

وأردف فى انفعال :

ــ وأظنك ستقرأ قريبًا تحقيقًا جديدًا ، فى صفحة الحوادث ، يحمل توقيع (ع × ٢) .

* * *

بدا (عصام) شديد الحماس ، متهلِّل الأسارير ، حينما التقى بـ (عماد) و (عُلا) فى اليوم التالى ، فى أثناء مغادرتهما مدرستهما ، بعد انتهاء اليوم الدارسى ، ولقد أسرع إليهما ، وهو يقول فى مرح :

ــ يبدو أن هذه القضية لن تستغرق الكثير من الوقت يا صديقىَّ ، المشتبه فيهم لا يتجاوزون الأربعة .

هتفت (عُلا) فى دهشة :

ــ أربعة فقط من ممارسى رياضة الملاكمة ، يقيمون فى هذه الأحياء الثلاثة ؟!

أطلق (عصام) ضحكة مرحة ثانية ، وهو يقول :

ــ بل هناك العشرات يا (عُلا) ، ولكن أربعة أشخاص فقط تحُوم حولهم الشُّبهات .

سأله (عماد) فى اهتمام :

ــ كيف ؟

ازدرد (عصام) لُعابه ، الذى جفَّ من شدة الانفعال ، ثم أجاب :

ــ معظم ممارسى الملاكمة ، من المقيمين فى هذه الأحياء الثلاثة ، من رجال الشُّرطة والجيش ، وهؤلاء فوق الشبهات بالطبع ، والباقون إما طلَّاب فى كليات محترمة ، أو موظفون فى مناصب ووظائف جيِّدة .. عدا أربعة ، تم شطب أسمائهم من اتحاد الملاكمة لسوء سلوكهم ، ولميلهم إلى العنف والإيذاء .

غمغم (عماد) مداعبًا :

ــ كنت أظن أن كل ممارسى الملاكمة يميلون إلى العنف !

هتف (عصام) :

ــ بالعكس .. إنها رياضة نظيفة للدفاع عن النفس ، وليس للعنف والإيذاء .

ثم تضرَّج وجهه بحُمرة الخجل ، وهو يستطرد :

ولقد أقنعنى سكرتير الاتحاد بممارسة هذه الرياضة ، وسأبدأ تدريباتى فى الأسبوع القادم .

ضحكت (عُلا) فى مرح ، فازداد تضرُّج وجهه خجلًا ، فى حين سأله (عماد) فى اهتمام :

ــ ومن هؤلاء المشتبه فيهم الأربعة ؟

التقط (عصام) من جيب سترته ورقة صغيرة ، وأخذ يقرأ المدوَّن بها ، قائلًا :

ــ (حسين عبد السلام) ، كهربائى ، يمتلك محلًا صغيرًا فى ميدان (العباسية) ، ويقيم فى المنزل نفسه ..

و (أحمد عبد الرحمن) ، طالب بالسنة النهائية بكلية تجارة عين شمس ، راسب للسنة الثانية ، ويقيم فى (مدينة نصر) .

و (فريد متولى) ، دبلوم صناعات ميكانيكية ، لا يعمل ، منتظر خطاب القُوى العاملة منذ عامين ..

و (سليمان محفوظ) ، مجنَّد حاليًا بالقوات المسلَّحة ، لم يحصل على إجازات منذ أسبوعين لسوء سلوكه .

استمع (عماد) و (عُلا) إلى الأسماء فى اهتمام ، ثم هتفت (عُلا) :

ــ إذن فهم ثلاثة مشتبه فيهم فقط ، و (سليمان) هذا لم

يحصل على إجازات منذ إسبوعين ، والحادث تمَّ أول أمس فقط .

عقد (عصام) حاجبيه ، وقد أصابه الحَنَق ؛ لأنه لم ينتبه إلى هذه النقطة الواضحة ، وغمغم فى خفوت ، وهو يمحو اسم (سليمان) بقلمه :

ــ هذا صحيح .. إنهم ثلاثة فقط .

سأله (عماد) فى اهتمام :

ــ وأين يقيم (فريد) ؟

أجابه (عصام) ، وهو يعيد الورقة إلى جيبه :

ــ فى (مصر الجديدة) .

ساد الصمت لحظات ، وكل منهم يفكِّر فيما آل إليه الأمر ، ثم قالت (عُلا) :

ــ هل يمكنك أن تتعرَّف صوت المجرم يا أستاذ (عصام) ؟

مطَّ (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ أعتقد ذلك .

ثم أسرع يستدرك :

ــ ما لم يكن قد أبدل صوته أيضًا .

ران الصمت لحظة أخرى ، ثم قال (عماد) فى رصانة ، بدت عجيبة مع سنوات عمره القليلة :

ــ سنفترض مؤقتًا أنه لم يفعل ، وسنبدأ تحرياتنا من هذا المنطلق .

غمغم (عصام) فى اهتمام :

ــ بمن نبدأ ؟

ضحكت (عُلا) ، وهى تقول :

ــ بل بمن تبدأ يا أستاذ (عصام) . فامتحانات نصف العام على الأبواب ، ولن يمكننا مشاركتك فى هذه المرّة .

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ لا بأس .. وفى هذه الحالة سأتخذ القرار وحْدى .

عقد حاجبيه ، وهو يفكّر فى عمق ، ثم قال :

ــ سأبدأ من ميدان (العباسية) ..

وتراقصت ابتسامة حماسية على شفتيه ، وهو يردف :

ــ ولعلها تكون النهاية أيضًا .

* * *

٤ ــ المتهم الأوَّل ..

ــ « تريد الأسطى (حسين) .. ها هو ذا هناك ، يعمل على إصلاح لافتة المحلّ المقابل » ..

قال العامل الصغير ، الذى يعمل فى محل (حسين) الكهربائى ذلك فى ضجر ، وقد تصوَّر أن (عصام) أحد زبائن المحل ، ولم يلتفت إليه (عصام) ، وهو يتمعَّن فى ذلك الرجل الممشوق ، المفتول العضلات ، الذى يعتلى سُلَّمًا خشبيًّا كبيرًا ، وينهمك فى إصلاح لمبات لافتة المحل المقابل .. وعلى الرغم من (عصام) ، سَرَت فى جسده قشعريرة عجيبة ، وهو يتجه إلى هناك فى خُطُوات سريعة ، وجفَّ لُعابه ، حتى أنه وجد صعوبة فى ازدراده ، حينما وصل إلى السُّلَّم الخشبىّ ، ورفع عينيه إلى الرجل ، قائلًا فى صوت حازم :

ــ أأنت الأسطى (حسين) ؟

أجابه الرجل دون أن يلتفت إليه :

ــ هو أنا .. ماذا تريد ؟

ازدرد (عصام) لُعابه مرَّة أخرى ، وهو يتأمَّل عضلات الرجل القوية المفتولة ، ثم جمع حزمه فى صوته ، وهو يقول :

ــ أنا (عصام كامل) .. صحفى بقسم الحوادث .

تسمَّرت يد (حسين) ، الممسكة بمصباح طويل ، من مصابيح (النيون) ، وأدار وجهه فى بطء ليحدج (عصام) بنظرة نارية قاسية ، ارتجف لها جسد (عصام) ، وهو يحاول البحث فى ملامح (حسين) عن لمحة ، قد تشبه ملامح الضابط المزيَّف ، وتراجع خطوة إلى الخلف ، حينما هبط (حسين) من سُلَّمه الخشبىَ ، وقال فى خشونة :

ــ وماذا تريد منّى يا صحفى قسم الحوادث ؟

أرهف (عصام) سمعه ، محاولًا تمييز صوت الرجل ، ومقارنته بصوت الضابط المزيَّف ، ولكن الصوتين بدَوَا له مختلفين قليلًا ، فعاد يقول فى لهجة ، حاول أن يُضْفِىَ عليها الكثير من الهدوء :

ــ إننى أجرى تحقيقًا عن الملاكمين الذين ....

قاطعه (حسين) فى عنف :

ــ لن تجد مبتغاك عندى .

حاول (عصام) أن يبتسم فى هدوء ، وهو يقول :

تسمَّرت يد (حسين) ، الممسكة بمصباح طويل ، من مصابيح (النيون) ، وأدار وجهه فى بطء ليحدج (عصام) .. بنظرة نارية قاسية ..

ـ لا يوجد ما يسىء إليك يا سيّد (حسين) و ....

لوّح (حسين) بالمصباح الطويل فى وجهه ، وهو يقاطعه فى شراسة :

ـ قلت لك : لن تجد ما تبغى لدىَّ .. ابتعد عنى هنا .

شعر (عصام) بالغضب ، إزاء أسلوب الرجل ، وقال فى صرامة :

ـ إننى أقف على رصيف شارع عمومى ، وقد يكون من حقّك أن تمتنع عن الإدلاء بأيّة أحاديث ، ولكن ليس من حقّك أن ....

بتر (عصام) حديثه بغتة ، حينما دوّى صوت تحطيم المصباح الطويل ، الذى هوَى به (حسين) على حافة السُّلَّم الخشبىّ .. ورفع (عصام) كفّيه ليحمى وجهه من الشظايا الزجاجية الرفيعة المتناثرة ، فى حين صاح (حسين) فى غضب جنونى :

ـ قلت لك ابتعد عن هنا .

وفجأة .. وأمام عيون المارة ، دفع (حسين) الجزء الذى يمسك به من بقايا المصباح ، ذا النتوءات الزجاجية الحادّة فى وجه (عصام) ، وهو يكرّر فى ثورة :

ـ ابتعد عن هنا .

* * *

لم يدرك (عصام) أنه يمتلك سرعة استجابة مناسبة وجيّدة ، إلّا حينما تعرّض لهذا الموقف العجيب ، على قارعة الطريق ..

لقد أزاح كفّيه عن وجهه ، ليطالعه وجه (حسين) الغاضب الشرس ، وبقايا المصباح الحادّة ، وهى تندفع إلى وجهه ، فانحنى فى سرعة ، وهو يشعر بالذُّعر ، وبذراع (حسين) المفتولة وهى تمزّق فوق رأسه ، ووجد نفسه يجمع فزعه ، وإرادته ، وعناده فى قبضته اليمنى ، ويهوى بها على معدة (حسين) بكل ما يملك من قوة ..

شهق (حسين) فى دهشة وألم ، حينما أصابت لكمة (عصام) معدته ، ثم لم يلبث ألمه ودهشته أن تحوّلا إلى غضب وثورة ، وهو يصرخ :

ـ هل تلكمنى ؟.. سأعلّمك كيف تكون الملاكمة .

تراجع (عصام) فى سرعة ، وقد أعادت الكلمات إلى ذهنه حديث الضابط المزيّف ، ولكماته ، وكاد (حسين) ينقضّ عليه بالفعل ، لولا أن أسرع المارّة وأصحاب المتاجر المجاورة إلى حيث يتشاجر هو و (حسين) ، كما يحدث فى كل المشاجرات التى تتم فى الطريق العام ، وأحاطوا بكل منهما ، وهم يناشدونهما الهدوء والتفاهم ..

وشعر (عصام) بالارتياح لموقف المارَّة ، فى حين أخذ (حسين) يصيح فى غضب :

ــ ابتعد عن هنا .. قلت لك ابتعد قبل أن أقتلك .

دفع بعض المارة وأصحاب المتاجر (حسين) إلى محلّه الصغير ، وهو يهدِّد ويتوعَّد ، ويرمق (عصام) بنظرات ناريَّة ، فى حين أسرع صاحب المتجر المجاور يربِّت على كتف (عصام) ، وهو يقول معتذرًا :

ــ معذرة يا بنىَ .. إنه شديد العصبيَّة ، وهو يفعل ذلك دائمًا ، حتى أننا نتحاشى إثارة أعصابه .. هيَّا .. سأدعوك لتناول كوب من الشاى فى متجرى .

تبعه (عصام) إلى متجره فى هدوء ، وقد وجدها فرصة سانحة لتبادل الحديث معه ، ومعرفة المزيد عن ذلك الكهربائى الشَّرس .. ولم يكد يستقرّ فى المتجر ، ويتناول قدح الشاى الساخن ، حتى بادر الرجل بسؤاله ، قائلًا :

ــ ولكن لماذا ثار فى وجهى هكذا ؟.. كنت أريد محادثته فحسب !

تلفَّت صاحب المتجر حوله فى خوف ، وكأنما يخشى أن يسمعه (حسين) ، وقال :

ــ لقد قدَّمت نفسك له بأنك صحفى بقسم الحوادث .

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ وماذا فى ذلك ؟

عاد صاحب المتجر يتلفَّت حوله ، وهو يقول :

ــ إنه يكره ذلك .. فلقد كافح طويلًا لإنشاء محلّه هذا ، بعد خروجه من السجن .

عقد (عصام) حاجبيه ، ونبض قلبه فى قوة ، وهو يغمغم :

ــ أهو سجين سابق ؟

ارتاع الرجل ، وهو يقول فى ضراعة :

ــ هذا ليس للنشر بالطبع .. لا تذكر اسمى .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول :

ــ بالطبع ، ولكن الفضول يقتلنى لمعرفة سبب سجنه .

تلفَّت الرجل حوله فى ارتياح ، وكأنما يشفق على نفسه لتورُّطه إلى هذا الحدّ ، ثم مال على أذن (عصام) ، وهمس فى صوت مضطرب :

ــ السَّرقة .. السَّرقة بالإكراه .

* * *

٥ ــ المتهم الثانى ..

تصارعت عشرات الأفكار فى رأس (عصام) ، وهو يهبط من سيارة الأجرة ، أمام منزل (أحمد عبد الرحمن) .. فقد كان يجد ــ فيما عرفه عن (حسين) ــ الكفاية .. فهو سجين سابق ، سُجِنَ بتهمة السَّرقة بالإكراه .. ولقد حاول قتله فى ثورة غضب ، ومن الطبيعى أن يعود إلى عَمله الأوَّل ، ولا ريب أنه الضابط المزيَّف ..

صحيح أنه حليق ، ولكن الشَّارب الكثَّ يمكن إضافته للوجه فى بساطة ، أما الصوت فمن السهل تبديله ، حينما يقدم المجرم على ارتكاب جريمة سرقة بالإكراه ، حتى لا تتعرَّفه الضحيَّة فيما بعد ..

لقد كان (حسين) هو المشتبه فيه الأوَّل ، والمتهم المثالى فى قضية الضابط المزيَّف ..

وعلى الرغم من ذلك ، صعد (عصام) إلى منزل (أحمد) فى بطء وتثاقل ، وضغط زِرّ الجرس وهو يفكِّر فى التراجع ، وعدم جدوى الاستمرار ..

وانتظر (عصام) بعض الوقت ، قبل أن يُفْتَح الباب ، ويظهر على عتبته شاب وسيم حليق ، فى منتصف العشرينات من عمره ، فى ثياب النوم ، حَدَّق فى وجهه لحظة فى دهشة ، ثم غدت ملامحه هادئة ، جامدة ، وهو يقول فى صوت مبحوح :

ــ أيَّة خدمة يمكننى تقديمها ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ أنا (عصام كامل) ، صحفى بقسم الـ... الرِّياضة و....

قاطعه (أحمد) فى لهجة ساخرة :

ــ الرِّياضة ؟!.. عجبًــا !!.. كنت أظــنك فى قسم الحوادث .

زفر (عصام) فى ضيق ، وقال :

ــ هذا صحيح ، ولكننى أقوم بعمل تحقيق فى الوقت الحالى عن ....

عاد (أحمد) يقاطعه ، وكأنما لا يعنيه سماع التعليل :

ــ تفضَّل بالدخول أولًا ، فلست أميل إلى الوقوف هكذا بثياب النوم .

وأفسح الطريق لـ(عصام) ، الذى دلف إلى الشقة فى هدوء ، وتطلَّع إلى أثاثها الفاخر لحظة ، قبل أن يقول :

ـ منزلك أنيق يا سيِّد (أحمد) .

ابتسم (أحمد) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ إنه منزل والدىّ ، وأنا أقيم فيه وحدى بصفة مؤقَّتة ، فهما يعملان فى المملكة العربية السعودية منذ عامين ، وأنا ابنهما الوحيد .

ودعا (عصام) للجلوس ، فاستقرَّ فوق مقعد وثير ، وساد الصمت بينهما لحظة ، أخذ (عصام) يفتِّش فى ذهنه خلالها عن وسيلة لبدء الحوار ، حينما سأله (أحمد) فجأة فى هدوء ساخر :

ـ ماذا تريد بالضبط يا أستاذ (عصام) ، وبكل صراحة ووضوح ؟.

كان يتحدَّث بلهجة أحنقت (عصام) ، الذى شعر أن الشاب يريد امتلاك ناصية الأمور .. فقال فى لهجة تنطوى على الاتهام والتحدِّى :

ـ لماذا شُطِبَ اسمك من اتحاد الملاكمة يا سيِّد (أحمد) ؟

ظهر الغضب على وجه (أحمد) لحظة ، ثم عادت ملامحه إلى جمودها ، وهو يقول فى برود :

ـ وما شأنك بذلك ؟

قال (عصام) فى برود مماثل :

ـ قلت لك إننى أعدُّ تحقيقًا حول الـ....

قاطعه (أحمد) فى حِدَّة مباغتة :

ـ دَعْك من هذه الخزعبلات ، وقل لى ماذا تريد بالضبط ؟

امتلأت نفس (عصام) بالغضب ، وكاد يواجهه بالأمرِ فى صراحة ، لولا أن ارتفع رنين الهاتف فى هذه اللحظة ، فالتقطه (أحمد) بحركة خاطفة ، وقال :

ـ من المتكلِّم ؟

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى هدوء :

ـ أنا (أحمد) يا (صبرى) .

عاد يصمت لحظة أخرى ، وقد عقد حاجبيه فى اهتمام ، ثم قال :

ـ لا .. إنها نوبة برد فحسب .

شعر (عصام) لحظتها برغبة عارمة فى معرفة فحوَى الحديث ، الذى أنصت إليه (أحمد) بكل حواسه ، قبل أن يغمغم :

ـ سأحادثك فيما بعد .. فلدىَّ ضيف هنا .

ثم أغلق السمَّاعة ، وعاد يواجه (عصام) ، قائلًا فى برود ، أضفى عليه صوته المبحوح عمقًا عجيبًا :

وهبط (عصام) فى درجات السُّلَّم فى غضب ،
وتوقَّف أمام بَوَّاب البناية ..

ـ والآن .. ماذا تريد بالضبط ؟

نهض (عصام) ، وهو يقول :

ـ لا شىء .. من الواضح أنك ترفض التعاون .

بدا الغضب على وجه (أحمد) لحظة ، ثم عاد يهزُّ كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ يمكنك إذن أن تنصرف .

كان أسلوبه خاليًا من الذَّوق تمامًا ، مما لم يدع مجالًا ـ أمام (عصام) ـ للتراجع ، فانصرف محنقًا ، وشيَّعه (أحمد) بنظرة ساخرة شامتة ، ثم أغلق الباب خلفه فى قوة ، وكأنما يعلن لامبالاته ..

وهبط (عصام) فى درجات السُّلَّم فى غضب ، وتوقَّف أمام بوَّاب البناية ، ليسأله فى حِدَّة أفزعت الرجل :

ـ متى عاد (أحمد عبد الرحمن) أول أمس ؟

ارتبك الرجل وهو يقول :

ـ لست أدرى يا سيِّدى .. إننى آوى إلى فراشى مبكِّرًا .

ثم أردف فى مزيج من القلق والاهتمام :

ـ أليس زميلًا لكم يا سيِّدى ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأله فى دهشة :

ـ ومن أوحَى إليك بهذه الفكرة ؟

ابتسم الرجل مزهوًا بذكائه ، وهو يقول :

ـ لقد فهمت من لهجة سؤالك أنك أحد رجال الشُّرطة .

جعلت عبارته (عصام) يهتف فى دهشة :

ـ الشُّرطة ؟!.. وهل (أحمد) ....؟

قاطعه البوَّاب فى ارتباك :

ـ أليس زميلًا لكم ؟!.. عجبًا !!.. ولكننى ....

بتر عبارته على نحو مفاجئ ، جعل (عصام) يسأله فى حِدَّة :

ـ لماذا تصوَّرت ذلك ؟

ازداد ارتباك الرجل ، وهو يغمغم فى تلعثم :

ـ معذرة يا سيِّدى .. ولكننى رأيته ذات يوم ، وهو يغادر منزله و ....

تردَّد لحظة ، قبل أن يستطرد بمزيد من التلعثُم :

ـ وكان يرتدى زِىّ ضابط شرطة .

* * *

٦ ـ المتهم الثالث ..

كانت الأفكار تتصارع فى رأس (عصام) فى قوة ، وهو يصعد فى درجات سُلَّم منزل (فريد متولى) ، فقد بدا له الأمر واضحًا ، سلسًا ، بسيطًا ، بعد مقابلته لـ (حسين) ، ولكنه لم يلبث أن أصبح شديد التعقيد ، محيِّرًا بعد لقائه بـ (أحمد) ..

أيهما الضابط المزيَّف ؟..

أهو (حسين) ، الذى سُجِنَ من قبل ، بتهمة التَّطو بالإكراه ؟..

أم هو (أحمد) ، الذى شُوهد يرتدى زِىّ رجل شرطة ؟

استغرقته الأفكار حتى فوجئ بأنه قد تجاوز الطابق ، الذى يقيم به (فريد) ، فعاد أدراجه وهو يهمهم بكلمات غاضبة ، ساخطة ، وتوقَّف لحظة أمام منزل (فريد) ، ثم طرق الباب فى هدوء ، وانتظر ..

مضت لحظات من السكون ، قبل أن يفتح الباب فى هدوء .. ولم يكد (عصام) يبصر الشاب الذى فتحه ، حتى

تراجع فى حركة حادَّة ، واتسعت عيناه فى دهشة ، فقد رأى أمامه شابًا يرتدى زىَ ضابط شرطة برتبة نقيب ، يحدِّق فى وجهه بنظرة صارمة ، وسمعه يقول فى جفاء :

ــ ماذا تريد ؟

استعاد (عصام) هدوءه فى سرعة ، وتنحنح قبل أن يقول :

ــ أأنت (فريد متولى) ؟

جاءت إجابة الشاب كطلق نارى ، وهو يقول :

ــ لا .

زفر (عصام) فى ارتياح ، ثم عاد يلقى نظرة حائرة على رقم الشقة ، وهو يغمغِم معتذرًا :

ــ معذرة .. يبدو أننى قد أخطأت المنزل ، فالبَّواب هو الذى ....

قاطعه الشاب بإجابة أخرى مقتضبة جافة :

ــ أنا شقيقه الأكبر .

قفزت فكرة عجيبة مفاجئة إلى رأس (عصام) ، ولكنه أسرع يستبعدها فى سرعة ، وهو يسأل :

ــ أيمكننى مقابلة الأستاذ (فريد) ؟

تفحَّصه الضابط الشاب بنظرة طويلة ، قبل أن يسأله فى صرامة :

ــ ماذا تريد منه ؟

تنحنح (عصام) مرَّة أخرى ، قبل أن يقول :

ــ أنا (عصام كامل) .. صحفى بقسم الحوادث و ....

قاطعته صيحة تجمع ما بين الدهشة والجزَع ، انطلقت من بين شفتى الضابط ، وهو يهتف :

ــ قسم الحوادث ؟

ثم امتلأت لهجته بالغضب ، وهو يستطرد :

ــ ماذا فعل هذا الفاشل هذه المرَّة ؟

شعر (عصام) بالضِّيق ؛ لأن الجميع يقاطعونه قبل أن يتمَّ عبارة تقديم نفسه ، إلَّا أنه ظلَّ هادئ المظهر والصوت ، وهو يقول :

ــ لا شىء يا سيِّدى .. إننى أعدّ تحقيقًا صحفيًا عن الملاكمين الذين ....

قاطعه الضابط فى ضجر ، وأفسح الطريق ، وهو يقول فى تبرُّم :

ــ إنه بالداخل .

ثم استطرد فى صوت مرتفع :

ــ (فريد) .. هناك صحفى يرغب فى مقابلتك .

وحدج (عصام) بنظرة صارمة أخرى ، ثم تحرَّك إلى خارج المنزل ، وأغلق بابه خلفه فى قوة ، وشعر (عصام) بالارتباك ، وهو يقف وَحْدَه فى رَدهة المنزل .. إلَّا أن ارتباكه لم يدُم طويلًا ، فقد خرج من حجرة مجاورة شاب متين البنيان ، مفتول العضلات ، يرتدى قميصًا قصير الأكمام ، على الرغم من برودة الجوّ ، وسروالًا أمريكيًا أزرق ، تطلَّع إلى (عصام) لحظة فى تساؤل ، ثم اقترب منه فى خُطُوات سريعة ، ومدَّ يده ليصافحه ، قائلًا فى لهجة شديدة التهذيب :

ــ أنا (فريد متولى) ، هل من خدمة يمكننى تقديمها لك ؟

ابتسم (عصام) ، وقال وهو يشير إلى الباب ، من خلف ظهره :

ــ يبدو أن شقيقك الأكبر حادّ المزاج .

تطلَّع (فريد) إلى الباب بنظرة عجيبة ، تجمع ما بين البغض والخوف ، وهو يغمغم :

ــ إنه دائمًا هكذا .

ثم التفت إلى (عصام) مستدركًا :

ــ ولكنه شاب ناجح ، وضابط شرطة كفء .

عادت تلك الفكرة العجيبة تقفز إلى ذهن (عصام) ، ولم يستطع كبحها هذه المرَّة ، فسأل (فريد) فى اهتمام :

ــ إنها الثانية عشرة والنصف ظهرًا .. أهو ذاهب إلى عمله ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ نعم .. أنت تعلم أن عمل رجال الشُّرطة بعيد عن الروتينية ، ولا توجد له مواعيد ثابتة .

ثم عاد يسأل (عصام) فى فضول :

ــ ماذا تريد منِّى بالضبط ؟

تجاهل (عصام) السؤال ، واغتصب ضحكة مرحة ، وهو يقول :

ــ إنه يبدو أنيقًا فى حُلَّته الرسمية ، ولكننى أتساءل : ماذا يفعل إذا ما اتسخت حُلَّته فى الطريق ؟

غمغم (فريد) فى ضجر :

ــ إنه يحتفظ بحُلَّة أخرى هنا .. والآن .. ماذا تريد منِّى ؟

كان من الواضح أن الاستمرار فى الحديث كفيل بإثارة شكوك (فريد) ، فالتقط (عصام) من جيب سترته مفكِّرة صغيرة ، وقلمًا ، وسأله فى اهتمام مصطنع :

ــ متى بدأت ممارسة رياضة الملاكمة يا أستاذ (فريد) ؟

أخذ (فريد) يجيب عن أسئلة (عصام) ، التى يلقيها فى ضجر وملل ، محاولاً استدراج (فريد) للحديث عن شقيقه ، أو عن نفسه ، حتى حانت الفرصة ، فسأله فى اهتمام :

ــ ماذا كنت تتمنَّى أن تكون ، لو أنك لم تحصل على دبلوم الصناعات الميكانيكية ؟

شرد (فريد) ببصره لحظة ، وهو يغمغم :

ــ ضابط شرطة .

ظلَّ شاردًا لحظات ، و (عصام) يتأمَّله فى اهتمام ، ثم اغتصب ضحكة باهتة ، وهو يقول :

ــ معذرة يا أستاذ (عصام) .. إننى لم أقدِّم لك مشروبًا حتى الآن ، فنحن نقيم وحدنا ــ أنا وشقيقى ــ ولا يوجد من يقوم على خدمتنا .

كانت فرصة لـ (عصام) ، كى يسأله فى اهتمام :

ــ ولا ريب أن شقيقك يقضى معظم وقته فى عمله ، وأنه يعود أحيانًا فى الفجر .

ابتسم (فريد) وهو يقول :

ــ نعم .. لقد عاد أول أمس فى الرابعة والنصف صباحًا و ...

وبتر عبارته فجأة ، وهو يلتفت إلى (عصام) بنظرات ملؤها الشَّك ، ويسأله فى عصبيَّة مفاجئة :

ــ ماذا تريد بالضبط يا أستاذ (عصام) ؟

تظاهر (عصام) بالدهشة ، وهو يقول :

ــ ماذا أريد ؟!.. التحقيق الصحفى بالطبع !

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (فريد) ، وهو يقول :

ــ التحقيق الصحفى ؟!.. نعم .. هو كذلك .. وستحصل عليه .. ستحصل على ما تستحق .

وأعقب عبارته بضحكة ساخرة شرسة ، تجمَّدت لها الدماء فى عروق (عصام) ..

★ ★ ★

وبتر عبارته فجأة ، وهو يلتفت إلى (عصام)
بنظـرات ملؤهـا الشـكّ ..

٧ ــ من الجانى ..

ــ « هذا هو كل ما حدث ، دون إهمال تفصيل واحد » ..

ألقى (عصام) هذه العبارة على مسامع (عماد) و (علا) ، فى ضجر وإحباط واضحين ، بعد أن روَى لهما تفاصيل لقائه بالمتهمين الثلاثة ، وزاد من حَنَقِه تبادلهما تلك النظرة الغامضة ، فلوَّح بكفِّه مستطردًا :

ــ ودون دليل واحد مؤكَّد ، يديـن أحـدهما دون الآخرين .

كان يتوقَّع اعتراضًا منهما ، وسيلًا من الأدلة والقرائن التى لم ينتبه إليها ، إلَّا أن (عماد) أدهشه ، حينما قال فى أسف :

ــ هذا صحيح يا أستاذ (عصام) ، لا يوجد دليل واحد مؤكد .

وأكملت (عُلا) عبارة شقيقها ، قائلةً :

ــ من الممكن أن يكون (حسين) هو الضابط المزيَّف ، نظرًا لماضيه المشين .. و (أحمد) شُوهد يرتدى زِىَّ الشُّرطة

لسبب مجهول .. و (فريد) شاب فاشل ــ باعتراف شقيقه ــ ولقد كان يتمنَّى أن يصبح ضابط شرطة ، وربَّما استولى على زِىّ شقيقه الإضافى ، فى أثناء غيابه فى عمله ، ولجأ إلى السرقة محتميًا بالحُلَّة الرسمية .

استرخى (عصام) فى مقعده فى ارتياح ، وهو يغمغم :

ــ هذا صحيح .

رفع (عماد) سبَّابته أمام وجهه ، وقال :

ــ ولكن ....

اعتدل (عصام) فى مقعده ، وقاطعه فى حِدَّة ، وقد ذهب ارتياحه :

ــ ولكن ماذا ؟

ابتسم (عماد) ، وكأنما فهم حِدَّة (عصام) ، وقال فى هدوء :

ــ ولكن يمكننا أن نواصل التحرِّيات على الأقل .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ كيف ؟!

أسرعت (عُلا) تجيب :

ــ يمكنك أن تحصل من مصلحة السُّجون مثلًا على تفاصيل

ملفَ (حسين) .. ومن كلية التجارة على موقف (أحمد) .. ومن مدرسة الصناعات الميكانيكية على أخلاقيات (فريد) .

مطَّ (عصام) شفتيه ، وهو يغمغم :

ــ سيحتاج هذا إلى يوم كامل على الأقل .

ابتسم (عماد) ، وهو يقول فى خجل :

ــ إلَّا إذا بدأت الآن بالطبع .

ظهرت الدهشة على وجه (عصام) ، وانفرجت شفتاه وكأنه يهمّ بالاعتراض ، إلَّا أنه عاد يطبقهما ، وتطلَّع إلى ساعته فى ضجر ، ثم نهض وهو يغمغم .

ــ نعم .. إلَّا إذا بدأت الآن .

سألته (عُلا) فى اهتمام :

ــ بِمَ ستبدأ ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ مصلحة السُّجون بالطبع .

* * *

بدا موظَّف الأرشيف ، فى مصلحة السُّجون ، ملولًا ضجرًا ، وهو يتطلَّع إلى وجه (عصام) ، مغمغمًا :

ــ ملف (حسين عبد السلام) ؟!.. ولكن موعد الانصراف قد حان .. ألا يمكنك الانتظار للغد ؟

تظاهر (عصام) بالعجلة ، وهو يقول :

ــ لا .. إنه تحقيق عاجل ، والمطابع تنتظر تلك المعلومات ، حتى يبدأ طبع الجريدة .

زفر الموظَّف فى ضيق ، والتفت إلى الأرفف العديدة ، التى تكتظّ بالملفَّات ، وأخذ يبحث وسطها فى ضيق واضح ، حتى التقط من بينها ملفًا ضخمًا ، ناوله لـ (عصام) ، وهو يقول :

ــ آه .. لقد تذكَّرته .. إنه ذلك اللص الذى سُجِنَ أكثر من مرَّة ، بتهمة السَّرقة بالإكراه ..

ثم ابتسم مجاملًا ، وهو يستطرد :

ــ يقولون إنه قد تاب وصَلُحَ ، بعد أن غادر السِّجن للمرَّة الأخيرة ، وإنه قد افتتح محلًا للأدوات الكهربائية .

غمغم (عصام) ، وهو يتابع الملف فى اهتمام :

ــ هذا صحيح .

هزَّ الرجل رأسه فى حَيْرة ، وقال فى خفوت :

ــ من العجيب أن يصدِّق المرء ذلك .. فلقد كان (حسين) قد وصل إلى درجة عجيبة من الجُرأة ، فى سرقاته الأخيرة .

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، دون أن يرفع عينيه إلى الرجل ، وهو يطالع الملف الضخم فى سرعة وشغف ، إلَّا أن الرجل نجح فى انتزاع انتباهه من الملف تمامًا ، حينما أردف :

ــ ولقد كاد يسىء إلى جهاز الشُّرطة كله فى آخر مرَّة .

رفع (عصام) عينيه عن الملف ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ ماذا تعنى ؟

هتف الرجل فى دهشة :

ــ ألم تطالع ذلك فى صحيفتك ؟!.

ثم مال نحوه مستطردًا ، فى لهجة توحِى بخطورة الأمر :

ــ لقد حُوكِم فى المرَّة الأخيرة لارتكابه جريمة سطو بالإكراه ، وهو يرتدى زىّ ضابط شرطة ..

* * *

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت الثالثة بعد الظهر ، إلَّا أن ساحة كلية تجارة (عين شمس) كانت تكتظ بالطلَّاب ، مما دفع ابتسامة إلى شفتى (عصام) ، وهو يسترجع أيام دراسته فى كلية (الإعلام) ، ويحثّ الخُطَا فى اتجاه مكتب شئون الطلاب ، حيث استقبله رئيس المكتب فى اهتمام ، ودعاه للجلوس ، قبل أن يسأله مبتسمًا :

ـ ماذا تريد منّا الصحافة يا تُرى ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ـ أريد بعض المعلومات عن طالب هنا ، يدعى (أحمد عبد الرحمن) .

كان (عصام) يتوقّع أن يعقد الرجل حاجبيه محاولًا التذكُّر ، ثم يلتقط كشوف الطلّاب ، ويبحث فيها عن الاسم طويلًا ، إلا أنه فوجئ به يبتسم ، قائلًا :

ـ آه .. (أحمد عبد الرحمن) .. أهو تحقيق فنّى ؟

كانت العبارة مثيرة للاهتمام ، فسأله (عصام) :

ـ أهو مشهور إلى هذا الحدّ ؟

ضحك الرجل ، قائلًا :

ـ نعم .. فى هذه الفترة من العام على الأقل .. فهو رئيس فريق التمثيل بالكلية ، ونحن نستعد لمسابقة الجامعات المسرحية .

وبدا الإعجاب فى وجهه وملامحه ، وهو يستطرد :

ـ وصدّقنى . إنه فنان موهوب بحق ، هو وزميلته (صبرى) ، على الرغم من رسوبهما المتكرّر فى الكلية .. فأنا أعتقد أنه كان ينبغى لهما الالتحاق بمعهد المسرح ، وليس بكلية التجارة .

وعاد يبتسم مردفًا :

ـ ولن تندم حينما تجرى معه حديثًا فنيًّا .

صمت (عصام) لحظة ، وهو يفكّر فى كلمات الرجل ، ثم قفز إلى ذهنه خاطر مفاجئ ، فمال نحوه ، وهو يسأله فى اهتمام .

ـ وما الدور الذى يقوم به (أحمد) فى مسرحية هذا العام ؟

خُيّل إليه أنه يعلم الجواب ، قبل أن ينطق به الرجل ، حتى أنه لم يشعر بأدنى قدر من الدهشة ، حينما سمعه يقول فى إعجاب :

ـ دور ضابط شرطة ..

* * *

كانت مدرسة الصناعات الميكانيكية قد أغلقت أبوابها ، حينما وصل إليها (عصام) فى الخامسة مساءً ، فوقف أمامها حانقًا ، وهو يغمغم :

ـ يوم آخر ضائع .

وعاد أدراجه فى مزيج من الحَنَق والضَّجَر ، وهو يسترجع كل ما مرَّ به من أحداث ، ويحاول ترتيب الأمور وتنسيقها ، على نفس النحو الذى يقوم به (عماد) و (غُلا) ، إلّا أن الأمور

بدت له مشتّته ، متفارقة ، حتى أنه هزَّ رأسه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ يبدو أن الصغيرين عبقريان بكل المقاييس ، فهما يستخلصان من الأمور المعقَّدة المتشابكة حقائق عجيبة مرتَّبة ، تبدو منطقية للغاية .. إنها موهبة ولا شكّ !

كان يدهشه دومًا أسلوب (عماد) و (عُلا) ، وقدرتهما ــ التى تفُوق عمريهما ــ فى استخلاص النتائج والأحداث ، على الرغم من فشله فى ذلك .. وكان من العجيب أن يقوم هو بكل العمل ، ويعايش كل الأحداث ، ثم يعجز عن الوصول إلى الحلّ ، فى حين يكتفى (عماد) و (عُلا) بسماع التفاصيل منه فى اهتمام ، ثم يتوصّلان إلى الحلّ ، دون أن يغادرا مكانيهما ..

لقد كان يتصوَّر ــ منذ حداثته ــ أن من يتوصَّل إلى حلّ ألغاز الجرائم الغامضة ، ينبغى له أن ينتقل إلى مسرح الجريمة ، حاملًا عدسة مكبّرة ، وملقطًا صغيرًا ، وينكبّ على فحص المكان ، والتقاط بصمة من هنا ، وشعرة من هناك ، ثم يجلس ليدخّن غليونه ، ويعزف على آلة الكمان ــ كما كان يفعل (شيرلوك هولمز) ، ثم يتوصَّل إلى أن القاتل رجل أعرج أعسر ،

فى الخمسين من عمره ، كان يعمل قديمًا فى البحرية التجارية ، ثم انتقل للعزف على (البيانو) ، مما عاونه على شراء ضيعة فى غربى (لندن) ، واستئجار عربة ذات جوادين ، أحدهما أبيض شاهق ، والآخر بنىّ مرقَّط و .. و .. و .. إلى آخر تلك الاستنتاجات العجيبة المعقَّدة ، والتى كانت تثير دهشته وإعجابه ، وهو يطالع تلك الروايات البوليسية .. ولكنه لم يتصوَّر أبدًا أن يجلس شخص ما فى مكانه ، ويستمع إلى التفاصيل فحسب ، ثم يتوصَّل إلى حلّ منمَّق صحيح .. خاصة إذا ما كان هذا الشخص طفلًا ، أو حتى طفلين ..

وجد نفسه يبتسم ، وهو يستدرك فى ذهنه :

ــ بل هما صبيَّان .. فلقد تجاوزا مرحلة الطفولة بالفعل ، وهما ينتظران عودته بما لديه من معلومات .

شعر فجأة بالحَنَق ؛ لأن مدرسة الصناعات الميكانيكية قد أغلقت أبوابها ، قبل أن يحصل منها على ما تبقَّى من معلومات .. ثم راودته فجأة فكرة زيارة (فريد) مرَّة أخرى ، عسى أن يجد لديه ما يريد من معلومات ، بدلًا من انتظار الغد ، حين تفتح المدرسة أبوابها ..

ولقد وضع فكرته موضع التنفيذ فورًا ..

ولم تمض نصف الساعة ، حتى كان يدقّ باب منزل (فريد) ، وينتظر فى لهفة ..

وفُتحَ الباب ، وظهر على عتبته ضابط شرطة برتبة نقيب ، فبادره (عصام) ، قائلًا :

ــ هل يمكننى مقابلة الأستاذ (فريد) و ....؟

وفجأة بتر (عصام) عبارته ، وحدَّق فى وجه الشاب الذى يقف أمامه فى دهشة ..

لقد كان (فريد متولى) ، يرتدى زىَّ شقيقه ضابط الشُرطة .

★ ★ ★

٨ ــ محاولة قتل ..

ساد الصمت طويلًا ، وكل من الشابَّين يحدِّق فى وجه الآخر فى دهشة ، ثم غمغم (فريد) فى ارتباك :

ــ إنها مجرَّد نزوة .. نزوة طارئة .. لقد أردت رؤية صورتى فى زىَّ الشُرطة .

ظلَّ (عصام) صامتًا لحظة أخرى ، ثم سأله فى هدوء :

ــ وهل يعلم شقيقك أنك ترتدى حُلَّته الرسمية ؟

انعقد حاجبا (فريد) فى غضب ، وهو يقول فى عصبيَّة :

ــ ولماذا يعلم ؟.. إنها أول مرَّة أفعل فيها هذا ، ولقد قلت لك إنها مجرَّد نزوة طارئة .

ثم أردف فى لهجة تنطوى على التهديد :

ــ ولا ينبغى أن يعلم .

تبادل الاثنان نظرات عدائية ، تمتلئ بالتحدّى ، ثم غمغم (عصام) فى برود :

ــ لست أظن ذلك .

واستدار يزمع الانصراف ، إلَّا أن (فريد) أمسك ذراعه فى قوة ، وهو يقول فى خشونة .

ــ ستدفع الثمن لو أنه عرف .

أبعد (عصام) كفَّه فى عنف ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ أظن أنك قد تقاضيت الثمن مسبَّقًا ، على هيئة ساعة جديدة ، وثلاث ورقات نقدية كبيرة .

عقد (فريد) حاجبيه فى شراسة ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ، فى حين أسرع (عصام) يغادر المكان ، وهو يهتف فى أعماقه :

ــ يا إلهى !!.. كلهـــم موضع الشُّبهات !! كلهـــــم مُتَّهَمُون !!

* * *

لم ينجح (عصام) فى تركيز أفكاره ، وهو يجلس فى مكتبه بالجريدة هذا المساء ..

لقد استغرقه التفكير فى الأمر ، وامتلأت أوراقه بمحاولات شتى لتنسيق الأحداث ، واستنتاج النتائج بلا جدوى ، حتى أصابه الحَنَق فى منتصف الليل .. وبعد أن خلَا قسم الحوادث

إلَّا منه ، ألقى آخر الأوراق فى سلَّة المهملات ، ونهض مغمغمًا فى سخط :

ــ يبدو أننى لن أنجح أبدًا فى تقليد الصبيَّين .

غادر مبنى الجريدة ساخطًا ، حانقًا ، ثم لم يلبث سخطه وحَنَقُه أن تبددا ، حينما عاد ذهنه يدرس الموقف ، ويقلِّبه على كل الوجوه ، وقفز إلى سيارة الصحيفة ، التى تثاءب سائقها ، وهو يغمغم :

ــ أأنت آخر الجميع يا أستاذ (عصام) .

أجابه (عصام) ، وهو يبتسم ابتسامة باهتة :

ــ يبدو هذا .

أدار السائق محرِّك سيارته ، وانطلق يجتاز الشوارع الخالية فى سرعة ، وهو يمنِّى نفسه بالذهاب إلى فراشه ، بعد أن يوصل (عصام) إلى منزله ، فى حين استغرقت الأفكار (عصام) تمامًا ، حتى سمع السائق يقول فى ارتياح :

ــ لقد وصلنا إلى منزلك يا أستاذ (عصام) .

تطلَّع (عصام) إلى الرجل فى شرود ، ثم شكره بكلمات موجزة ، وغادر السيارة فى سرعة ، وترك السائق ينطلق مبتعدًا ، وهو يُحكم ياقة سترته الصوفية ، ويتجه فى خطوات سريعة إلى منزله ..

وفجأة .. برز شخص ما أمامه ..

شخص جعله يرتجف بأكثر مما يفعل به البرد القارص ..

شخص يرتدى زِىّ ضابط شرطة برتبة نقيب .

* * *

كان ظهور الرجل مفاجئًا ، مباغتًا ، إلَّا أن هذا لم يمنع (عصام) من ملاحظة ذلك المنديل الأبيض ، الذى يخفى ملامحه هذه المرَّة ، والذى يؤكِّد أنه يحاول إخفاء ملامحه المعروفة لـ (عصام) ..

ولم تكن لـ (عصام) فرصة التراجع أو تفادى تلك اللكمة ، التى أصابت فكَّه فى قوة ، وألقته أرضًا ..

وانقضّ الضابط المزيَّف مرَّة أخرى ، بمزيد من الشراسة ، قبل أن ينهض (عصام) ..

ولكن عامل المفاجأة كان قد انتهى ، ولم يكن (عصام) ينوى الاستسلام هذه المرَّة ؛ لذا فقد دفعَ جسده يسارًا ، متفاديًا ركلة المجرم ، ثم قفز واقفًا ، وقال فى غضب وصرامة :

ــ لن نتبع قواعد الملاكمة هذه المرَّة أيها الوغد .. سنتقاتل بلا قواعد .

ولم تكن لـ (عصام) فرصة التراجع أو تفادى تلك اللكمة ، التى أصابت فكَّه فى قوة ، وألقته أرضًا ..

لم ينبس الضابط المزيَّف ببنتِ شفَة ، وإنما انطلقت قبضته نحو فكّ (عصام) فى صمت وشراسة ، ولكن (عصام) تفاداها فى صعوبة ، وانحنى إلى أسفل ، ولكَم الرجل فى معدته بكل ما يملك من قوة ..

وشهق الرجل فى ألم وحنق ، وتراجع خطوة إلى الخلف وهو يلهث ، فاعتدل (عصام) ، ولكمه فى وجهه بقوة ، ولكن الرجل تفادى اللكمة فى براعة ، بأن مال بوجهه يسارًا فى سرعة ، فأصابت لكمة (عصام) الهواء ، وفقد توازنه ، وترنَّح لحظة ، ثم شهق فى ألم ، حينما أصابت لكمة الرجل معدته ، واعوجَّ فكّه حينما أصابته لكمة أخرى ، وسقط أرضًا مع لكمة المجرم الثالثة ..

كانت اللكمات الثلاث الأخيرة قوية متتابعة عنيفة ، جعلت (عصام) يشعر بدُوَار عنيف ، حتى أنه لم ينجح فى تفادى ركلة قويَّة ، أصابه بها المجرم فى معدته ، وحاول أن ينهض فى ألم ، ولكن لكمتين متعاقبتين فى فكّه أعادتاه إلى سقطته ، وبدت له الصورة مهتَزة ، وهو يتأوَّه فى ألم ، ويقاوم تلك الغيبوبة التى تحيط برأسه فى إصرار ، ولكنه استطاع أن يميِّز ذلك الضابط

المزيَّف ، وهو يخرج مسدَّسه ، ويصوِّبه إليه ، فغمغم فى ضعف وذُعر :

ـ كلَّا .. كلَّا ..

ولكن الضابط المزيَّف صوَّب مسدَّسه إلى رأسه ، وجذب إبرته فى هدوء ، ورأى (عصام) ، وهو فى قمة ذُعره ، سبَّابة الرجل وهى تضغط الزِّناد .

* * *

٩ ــ الحَيْرة ..

اجتاح الانفعال (عماد) و (عُلا) ، وهما يتطلّعان إلى وجه (عصام) الشاحب ، وعينيه المغمضتين ، وهتفت (عُلا) :

ــ يا إلهى !!.. وماذا حدث بعد ذلك ؟

فتح (عصام) عينيه فى بطء وبدا صوته شاحبًا كوجهه ، وهو يقول :

ــ تِكْ ..

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة حَيْرة ، ثم غمغم (عماد) فى دهشة :

ــ ماذا تعنى ؟

لوَّح (عصام) بكفِّه ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ كل ما فعله ذلك المسدَّس هو أن أصدر صوتًا مكتومًا (تِكْ) فقد كان خاليًا من الرصاص ، ولقد أطلق ذلك الوغد بعدها ضحكة ساخرة مكتومة ، وكأنما يسخر من مخاوفى ، وانصرف فى خطوات سريعة .

تبادل (عماد) و (عُلا) واحدة من نظراتهما الغامضة ، ثم قالت (عُلا) فى خفوت ، وهى تتأمَّل وجه (عصام) المغطى بالضمادات فى إشفاق :

ــ هذا يعنى على الأقل أننا نسير فى الطريق الصحيح .

هتف (عصام) فى حَنَق :

ــ أهذا كل ما لديك ؟

شعرت (عُلا) بالخجل ، فأطرقت بوجهها ، فى حين قال (عماد) فى تردُّد :

ــ الأمر يبدو محيِّرًا فى الواقع هذه المرَّة يا أستاذ (عصام) ، فكل من المشتبه فيهم يمكنه أن يكون ضابطنا المزيَّف ، ولكن لا يوجد دليل واحد مؤكَّد ، يمكنه أن يقودنا إلى أحدهم بالذات ، فالشُّبهات تحيط بكل منهم بنفس القدر .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ هل يعنى هذا أننا قد فشلنا هذه المرَّة ؟

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة ضيق ، ثم قالت (عُلا) فى رجاء :

ــ ألم يمكنك تعرُّف صوت أحدهم على الأقل ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى ضيق :

ـ نعم .. لقد كان ذلك الضابط المزيَّف يبدِّل صوته ولا شك .

وتردَّد لحظة ، قبل أن يستطرد فى خفوت :

ـ ولكنه أحد الثلاثة بالتأكيد .. أليس كذلك ؟

هتف (عماد) و (عُلا) فى آن واحد :

ـ بلَى .

ثم استقلَّ (عماد) بالحديث ، قائلًا فى حماس :

ـ مهاجمته لك أمس تؤكِّد ذلك .. فهو يعلم من أنت ، وأين تقيم .. ولقد أدهشه أنك نجحت فى الوصول إلى منزله ، بعد أقل من ثمان وأربعين ساعة ، من مهاجمته لك ؛ لذا فقد شعر بالخطر ، وأراد أن يلقِّنك درسًا يجعلك تعدِل عن مطاردته .

غمغم (عصام) ، وهو يتحسَّس ضمادات وجهه :

ـ لقد كان درسًا مؤلمًا .

عاد الصمت يلفهما لحظة أخرى ، ثم عقد (عماد) حاجبيه الصغيرين ، وهو يقول فى ضيق :

ـ لابدَّ من وجود نقطة ما ، أو دليل ما .. لابدَّ .

مطَّ (عصام) شفتيه فى إحباط ، ونهض من مقعده ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ ابحثا أنتما عن ذلك الدليل ، فلقد سئمت هذه القضية .

وقبل أن يترك لهما فرصة التفوُّه بحرف واحد ، أسرع يغادر المكان كله فى خطوات غاضبة واسعة ، فالتفت (عماد) إلى شقيقته ، وغمغم فى مزيج من الأسف والخجل :

ـ أعتقد أنه على حقّ هذه المرَّة يا (عُلا) .

أومأت برأسها فى حزن ، قبل أن تتمتم فى خفوت :

ـ نعم .. لقد فشل فريق (ع × ٢) فى هذه المهمة .

* * *

حينما غادر (عصام) الصغيرين ، كان ينوى بالفعل إهمال القضية ، وعدم المضىّ فيها ، بعد أن تملَّكته الحَيْرة ، وهو يحاول أن يجد حلًّا مناسبًا ، إلَّا أنه لم يكد يسير فى الطرقات المزدحمة . حتى عاوده حَنَقُه على ذلك الضابط المزيَّف ، الذى يهدِّد الآمنين ، ويسىء إلى جهاز الشُرطة كله ..

وعاد عقله يسترجع كل ما مرَّ به من مواقف وأحداث ، منذ سطا ذلك الضابط المزيَّف على نقوده وساعته ، وحتى هذه اللحظة ..

استرجع عقله كل موقف ..

كل مشهد ..

كل جملة ..

كل كلمة ..

كل حرف ..

ولكنه عجز عن العثور على دليل واحد يقوده إلى الحلّ ، مما أورثه مزيدًا من الحِقد والحَنَق والحَيْرة ، فأخذ يتمتم فى صوت بالغ الخفوت :

ــ يا له من موقف !!.. ضابط مزيَّف ، ووجه مزيَّف ، وصوت مزيَّف ..

زفر فى ضيق ، ثم عاد يتمتم :

ــ وثلاثة ملاكمين شطبهم اتحاد الملاكمة من كشوفه لسوء سلوكهم و ....

توقَّف فجأة عن التمتمة والسير ، حتى أن الرجل الذى يسير خلفه كاد يرتطم به ، ولقد أدهشه أن يسمع (عصام) ، وهو يهتف فى صوت مرتفع :

ــ يا إلهى !!.. كيف لم أنتبه إلى ذلك ؟

حدَّق الرجل فى وجهه بدهشة ، ثم هزَّ رأسه ، وهو يهمهم بكلمات غامضة ، فى حين أخذ (عصام) يتمتم فى انفعال :

ــ لا ريب أن كلًّا منهم يعرف الآخر .. من الطبيعى أن

يعرف أصحاب الرياضة الواحدة بعضهم البعض .. كان ينبغى أن أسأل كلًّا منهم عن الآخر ..

وتطلَّع إلى ساعته فى اهتمام ، ثم غمغم فى حماس :

ــ كان هذا هو الأسلوب الصحيح منذ البداية ، لو سألت كلًّا منهم عن الآخر لأخبرنى بمزيد من التفاصيل الهامة .

وعقد حاجبيه ، وهو يفكِّر فى عمق ، ثم غمغم :

ــ بمن أبـــدأ يا تُرَى ؟.. (حسين) ، أم (أحمد) ، أم (فريد) ؟

ثم ابتسم مستطردًا :

ــ فلنبدأ بـ (أحمد) ، فهو أقلُّهم عنفًا على الأقل .

وأسرع الخُطَا نحو هدفه الجديد ..

* * *

ساد الصمت فى حجرة (عماد) و (عُلا) ، وران عليهما السكون ، وقد بدا كل منهما شاردًا ساهمًا ، يلُوح الضّيق فى ملامحه ، حتى أطلقت (عُلا) من صدرها زفرة قوية ، فغمغم (عماد) فى خفوت :

ــ ماذا بك ؟

عقدت حاجبيها الصغيرين ، ومطَّت شفتيها وهى تغمغم فى ضيق :

ـ يا له من سؤال !!

لوَّح بكفِّه ، وهو يقول :

ـ إننى أشعر بالضِّيق والحَيْرة أيضًا يا (عُلا) ، ولكن ماذا نفعل إزاء هذا الموقف المعقَّد .

قالت فى حِدَّة :

ـ ألا يوجد دليل واحد ؟!.. قرينة واحدة تقود إلى المجرم ؟!

هزَّ رأسه ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. ربَّما .

اقتربت منه ، وجلست إلى جواره ، على طرف فراشه ، وهى تقول :

ـ دَعْنا نسترجع كل الأحداث ، وربَّما وجدنا الدليل الذى نبحث عنه .

قال فى حماس :

ـ نعم .. دَعِينا نفعل .

ساد الصمت بينهما ، وكل منهما يسترجع الأحداث فى رأسه وحْدَه ، والأحداث تدور فى ذهنيهما بنفس الترتيب والتوافق على نحو عجيب ..

وفجأة .. استدار كل منهما نحو الآخر ، وهتفا فى آن واحد بحماس :

اقتربت منه ، وجلست إلى جواره ، على طرف فراشه ، وهى تقول :
ـ دعنا نسترجع كل الأحداث ، وربَّما وجدنا الدليل ..

ـ لقد عثرت على الدليل .

تملَّكتهما نشوة النصر وهما يناقشان الأمر ، وتأكَّدا من صحة استنتاجهما تمامًا ، فتهلَّلت أساريرهما ، وصاحت (عُلا) ، وهى تصفِّق بكفَّيها فى جَذَل :

ـ لم يفشل فريق (ع×٢) هذه المرَّة أيضًا .

قفز (عماد) من فراشه ، وهو يقول فى حماس :

ـ علينا أن نبلغ الأستاذ (عصام) ، سيسعده ذلك كثيرًا .

ضحكت (عُلا) ، وهى تقول :

ـ نعم .. سنبلغه بالأمر ، قبل أن يلقِّنه المجرم درسًا جديدًا .. سنبلغه أن فريق (ع×٢) قد انتصر فى قضية الضابط المزيَّف أيضًا .

* * *

١٠ ـ المجـــرم ..

ابتسم (أحمد) فى سخرية ، حينما فتح باب شقته ، ورأى (عصام) يقف أمامه ، والضمَّادات تغطِّى وجهه ، وأشار إلى الضمادات قائلًا فى تهكُّم :

ـ هل أصابتك حافلة مزدحمة ؟

ابتسم (عصام) فى ضيق ، وقال :

ـ بل هو شجار سخيف .

ثم أردف فى سرعة :

ـ هل أيقظتك ؟

هزَّ (أحمد) كتفيه ، وهو يقول :

ـ لا .. إننى أرتدى منامتى ، ما دمت داخل المنزل .

ثم أشار إلى الداخل مستطردًا :

ـ هلَّا تفضَّلت بالدخول أوَّلًا ؟

دلف (عصام) إلى المنزل فى هدوء ، وجلس على أقرب المقاعد إليه ، وهو يقول :

ـــ لقد حضرت هذه المرَّة لأسألك عن شابَّين ، شاركاك فى رياضة الملاكمة ذات يوم .

حافظ (أحمد) على ابتسامته الساخرة ، وهو يجلس أمامه ، قائلًا :

ـــ يا لها من أيام سخيفة !! على كلٍّ سأحاول معاونتك .. من هما ؟

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى اهتمام :

ـــ (حسين عبد السلام) ، و (فريد متولى) .

استرخى (أحمد) فى مقعده ، وهو يقول فى لامبالاة :

ـــ (حسين) و (فريد) !!.. نعم .. إننى أذكرهما ، ماذا تريد أن تعرف عنهما ؟

قال (عصام) فى اهتمام واقتضاب :

ـــ كل شىء .

عادت الابتسامة الساخرة إلى شفتى (أحمد) ، وهو يقول :

ـــ هذا عسير ، فأنا أعلم عنهما القليل .

ثم اعتدل ، وهو يستطرد :

ـــ لقد كان (فريد) أكثر حماسًا خلال التدريبات ، ولكنه كان يميل إلى العدوانية ، ولقد تمَّ شطب اسمه بعد وقت قصير ، أمَّا (حسين) فله قصة عجيبة .

غمغم (عصام) فى لهفة :

ـــ يهمُّنى سماعها .

هزَّ (أحمد) كتفيه ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، وقال :

ـــ لقد مارس الملاكمة منذ فترة طويلة ، ولكنه لم يسجِّل اسمه فى اتحاد الملاكمين إلَّا بعد خروجه من السجن .. ولقد حاولنا جميعًا أن نتناسى ماضيه ، إلَّا أنه سطا ذات يوم على حقيبة زميل له ، فما كان من الاتحاد إلَّا أن شطب اسمه ، ومنعه مزاولة هذه الرياضة .

غمغم (عصام) فى لهفة :

ـــ وماذا تعلم عن ماضيه ؟

ابتسم (أحمد) ، وهو يقول بصوته المبحوح :

ـــ لقد كان يسطو على المارَّة بالإكراه ، مستخدمًا أساليب عنيفة ، وفى المرَّة الأخيرة انتحل شخصية ضابط شرطة .

ثم مال نحو (عصام) ، مستطردًا فى لهجة توحِى بأهمية الأمر :

ـــ وما زال يحتفظ بزِىِّ ضابط الشُّرطة .

ارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـــ وكيف عرفت ذلك ؟

ابتسم (أحمد) ابتسامة العالم ببواطن الأمور ، وهو يعود للاسترخاء فى مقعده ، قائلًا :

ــ لقد كان يحتفظ بها فى صوان ملابسه ، حينما كنا نزاول تدريباتنا معًا .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأل :

ــ أتظنّ أنه ما زال يحتفظ به ؟

رفع (أحمد) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ بماذا ؟

هتف (عصام) فى انفعال :

ــ بِزِىّ الشُرطة بالطبع .

ابتسم (أحمد) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ بالطبع .. ولِمَ يتخلَّص منه ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ إنه أمر بالغ الخطورة .. بالغ الخطورة بالفعل .

تنهَّد (أحمد) ، ونهض من مقعده ، وهو يقول :

ــ ألَا ترغب فى تناول كوب من الشاى الساخن ؟

ابتسم (عصام) ابتسامة شاردة ، وهو يقول :

ــ لا بأس .

نهض (أحمد) ليعدّ الشاى ، فى حين ظلَّ (عصام) فى مقعده ، يفكّر فى كلمات (أحمد) ، التى بدت له كآخر خيوط اللُغز ..

لم يعُدْ لديه شكّ فى أن (حسين) هو الضابط المزيَّف ..

تاريخه .. سوابقه .. احتفاظه بزِىّ الشُرطة المزيَّف ..

ليس هناك من شكّ ..

نهض من مقعده ليتحرَّك فى رَدهة المنزل ، فى شرود ، ثم وقع بصره على مجموعة من الأوراق الملقاة فى إهمال ، فوق منضدة صغيرة ، فالتقط إحداها فى حركة آلية .. ولم يكد يفعل ، حتى تعلَّق بصره بالقلم المختفى أسفلها ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يلتقطه ، ووصلت دهشته إلى ذِروتها ، حينما ميَّز الحروف الدقيقة المحفورة على غلافه ، والتى تحمل اسمه ، إلى جوار عبارة تقول :

ــ « مع تحيات وتقدير فريق (ع × ٢) » ..

ارتجفت أصابعه ، وارتعدت أطرافه ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ــ إذن فالضابط المزيَّف ليس (حسين) .. إنه .. إنه ....

قاطعه صوت (أحمد) ، وهو يقول فى سخرية ، وبصوت صارم جاف :

التفت إليه (عصام) فى جزع ودهشة ، وتعلق
بصره بالمسدّس الذى يصـوّبه إليه ..

ـ نعم .. إنه أنا أيها الذكىّ .

التفت إليـه (عصام) فى جَزَع ودهشة ، وتعلّق بصره بالمسدَّس الذى يصوِّبه إليه ، وهو يستطرد فى سخرية وشراسة :

ـ أنا الضابط المزيَّف أيها الصحفىّ العبقرىّ .

* * *

١١ ــ المواجهــة ..

مرَّت دقيقة كاملة ، و (عصام) يحدِّق فى وجه (أحمد) ، وفى المسدَّس الذى يمسك به ، فى قبضته ، قبل أن يغمغم فى ذهول :

ــ ولكن لماذا ؟.. لماذا تفعل ذلك ؟.. إنك ممثل موهوب ، وعائلتك ثرية .

هتف (أحمد) فى حَنَق :

ــ ثريَّة وبخيلة .. لقد أهملنى والداى ليسعيا خلف المال .. المال وحْده هو كل ما يشغل بالهما .

غمغم (عصام) فى أسف :

ــ ولكنك لست طفلًا .

ابتسم (أحمد) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ولكننى شديد الإسراف ، ويؤرقنى أن يخلُوَ جيبى من النقود .

هتف (عصام) فى حِدَّة :

ــ فتلجأ إلى السَّرقة ؟..

صاح (أحمد) فى لهجة أقرب إلى الجنون :

ــ ليست مجرَّد سرقة .. إنها عملية سطو فنيَّة ، مدروسة بدقَّة ومهارة .. إنها مغامرة جسورة .

ثار (عصام) ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ أى فن وجسارة فى عملية سطو بالإكراه ؟.. لقد أخطأت اختيار الطريق ، كما فعلت منذ البداية .. كان ينبغى أن تلتحق بمعهد المسرح ، لتبرز فنَّك الحقيقى ، وجسارتك الطبيعية ، بدلًا من أن تلتحق بكلية التجارة ، فترسب العَام تِلْوَ الآخر .. ماذا كنت تتصوَّر طريقك بعد هذا ؟.. أكنت ستتحوَّل إلى لصٍّ محترف ؟

أدهشه أن اغرورقت عينا (أحمد) بالدموع ، وهو يصيح فى مرارة :

ــ إنه خطأ والدىّ أيضًا .. لقد توسَّلت إليهما أن يوافقا على التحاق بمعهد المسرح ، ولكنهما أصرَّا على التحاق بكلية التجارة .. إنهما سبب فشلى .. ثم إننى لم أكن أنوى احتراف السَّرقة .. إننى لم أفعل ذلك سوى مرَّة واحدة .. مرَّة واحدة لا غير .

هتف (عصام) فى غضب :

ــ بل مرَّتيْن .. هل نسيت أنك حاولت قتلى مساء أمس ؟

صاح (أحمد) :

ــ خطأ .. لو أننى أردت قتلك ما كنت تجلس أمامى الآن .. لقد أردت إبعادك عن طريقى فحسب .

رفع (عصام) يده إلى وجهه ، وهو يقول فى غضب :

ــ وماذا عن هذه الضّمادات ؟.. أهى تخفى خجلى ؟

صاح (أحمد) فى سخط :

ــ لقد أردت أن تدمِّر مستقبلى وحياتى ، وكان لابدَّ لى من إيقافك .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ هكذا يفعل اللص المحترف .. أرأيت إلى ماذا قادتك حادثة سطو واحدة ؟.. إلى محاولة إخفائها بجريمة أخرى ، وإلى محاولة تلفيق التُهمة لرجل تاب عن الجريمة ، وأراد أن يسعى إلى رزق حلال .. جريمة تِلْوَ الأخرى بسبب نزوة سخيفة .. من الذى يحطِّم مستقبلك إذن .. أنا أم أنت ؟

ظهرت الحَيْرة على وجه (أحمد) .. وتراخت يده الممسكة بالمسدَّس ، وسالت الدموع على وجهه ، وبدا شاردًا ، يحدِّق

فى سراب وهمىّ ، مما شجَّع (عصام) على الاقتراب منه فى حَذَر ، وهو يقول :

ــ ولكن كل شىء لم ينته بعد .. فرصتك سانحة للتراجع .. أعطِنى هذا المسدَّس ، وسننسى كل شىء .

بدا (أحمد) مستسلمًــا ، شاردًا حينما أمسك (عصام) بمسدَّسه ، وانتزعه من يده ، ثم زفر فى ارتياح ، وهو يقول :

ــ والآن انتهى كل شىء .

انتفض (أحمد) فجأة ، وصرخ :

ــ لا ..

وفى حركة حادَّة عنيفة ، أطاح بالمسدَّس الذى يمسك به (عصام) ، وقد تألَّقت عيناه فى جنون ، وصاح فى غضب :

ــ لن أسمح لك .. لن تدمِّر مستقبلى أبدًا .

واندفعت قبضته تلكم (عصام) بكل عنف وقــوَّة وشراسة ..

★ ★ ★

لم يدر (عصام) كيف تفادى تلك اللَّكمة القويَّة هذه المرَّة ، ولا كيف قاتل بمثل هذه القوَّة والحُنْكة ..

لقد مال جانبًا ، متفاديًا اللَّكمة ، ثم غاص إلى أسفل ،

وعاد ينتصب ، ويلكم (أحمد) فى فكّه بقوّة ، جعلته يترنّح ، ويتراجع إلى الخلف ..

وكان من الخطإ والخطر أن يتوقّف (عصام) عند هذه النقطة ..

كان من الضرورى أن يمنع خصمه من استعادة توازنه ، وإلّا فلن ينجح فى هزيمته قط ..

وانقضّ (عصام) مرّة أخرى ، وكال لـ (أحمد) لكمة قوية فى فكّه ، وأخرى فى معدته ، وثالثة بين كتفيه ، فتراجع (أحمد) مترنّحًا ، ولكنه لم يسقط ..

تراجع على نحو فنّىّ مدروس ، بحيث أصبحت المنضدة الصغيرة تحُول بينه وبين (عصام) ، ومسح خيط الدم السائل من طرف شفتيه ، وهو يحدِج (عصام) بنظرة نارية ، ويقول فى وحشية وشراسة :

ــ رائع .. لقد أفادتك دروس الملاكمة ، التى لقّنتك إيّاها ، ولكنك مازلت فى الروضة يافتى ، أمّا أنا ، فقد حصلت على شهادة التفوُّق .

وفجأة .. عَبَر المنضدة الصغيرة بقفزة رائعة ، ولكم (عصام) فى فكّه ، ثم فى معدته ، وترك (عصام) يسقط أرضًا ، وهو يقول فى سخرية :

ــ هل رأيت كيف تصنع الخبرة فارقًا كبيرًا ؟

نهض (عصام) فى بطء ، وهو يشعر بالألم من أثر الضّمادات ، وقال فى صرامة :

ــ هناك خبرات أخرى ، تجهلها أنت تمامًا أيها المغرور .

غمغم (أحمد) متهكّمًا :

ــ مثل ماذا أيها الغبىّ ؟

انقضّ (عصام) فجأة على ساقيه ، وهو يهتف :

ــ الخداع .

وفى حركة سريعة ، جذب (عصام) ساق (أحمد) ، الذى بُوغت بذلك الموقف ، ففقد توازنه ، وسقط على ظهره وهو يسبّ ساخطًا ، وارتطم بالمنضدة الصغيرة ، فنهض فى سرعة ، وهو يمسك رأسه ، ويقول فى غضب :

ــ الخداع شيمة الضعفاء أيها الصحفىّ .

ابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ والماكرين أيضًا .

زمجر (أحمد) فى شراسة ، وهو يقول فى غضب :

ــ ستدفع ثمن ذلك .. ستدفع ثمن ذلك .

وانقضّ مرّة أخرى على (عصام) ، الذى قفز جانبًا ،

وتخطَّى مقعدًا كبيرًا على نحو أدهشه هو نفسه ، فاختلَّ توازن (أحمد) ، وسقط على وجهه بين مقعدين ، فى حين وقف (عصام) يلهث ، وهو يقول :

ــ لا تزد الطِّين بلَّة يا (أحمد) .

وفجأة .. اعتدل (أحمد) ، وهو يصوِّب المسدَّس نحو (عصام) ، ويقول فى مزيج من الحِدَّة والسخرية :

ــ لقد أسقطتنى فى المكان المناسب أيها الصحفىّ .

تراجع (عصام) ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ هل ستتوِّج جرائمك بجريمة قتل ؟

نهض (أحمد) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ إنك تغرينى بذلك .

ارتفع فجأة صوت طرقات عنيفة على باب المنزل ، فالتفت إليه (أحمد) فى اضطراب ، وهو يقول :

ــ من هذا ؟

ازدرد (عصام) لُعابه ، وهو يشكر هذه المصادفة غير المتوقَّعة ، واستغلَّ الفرصة ليقول :

ــ لا ريب أنهم رجال الشُّرطة .

التفت إليه (أحمد) ، ووجهه يحمل مزيجًا عجيبًا من الخوف واليأس والبغض والغضب ، وصاح فى حَنَق :

تراجع (عصام) ، وهو يقول فى توتُّر :
ــ هل ستتوِّج جرائمك بجريمة قتل ؟

ـ أنت المسئول .. أنت أفسدت مستقبلى .

هتف (عصام) :

ـ لا يا (أحمد) .. لا ..

ولكن (أحمد) ضغط الزّناد ، ودوّى صوت الرّصاصة ، وفوّهة المسدّس مصوّبة إلى صدر (عصام) تمامًا ..

* * *

١٢ ـ ضابط حقيقى ..

اقترن صوت الرصاصة بصوت تحطُّم رتاج الباب ، وسقط (عصام) أرضًا ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها رجل قوى عَبْر الباب المحطَّم ، وانقضّ على (أحمد) ، وأطاح بمسدّسه بلكمة قوية ، ثم لَوى ذراعه خلف ظهره فى سرعة وقوة ومهارة ، دون أن ينطق (أحمد) بحرف واحد ، أو حتى يحاول ذلك ..

وسمع (عصام) صوتين يهتفان فى جَزَع :

ـ هل أصابك مكروه يا أستاذ (عصام) ؟

فتح (عصام) عينيه فى دهشة ، وتطلّع إلى وجهى (عماد) و (عُلا) فى حَيْرة ، ثم تحسّس جسده فى ذهول ، وهو يغمغم :

ـ كيف وصلتما إلى هنا ؟.. كيف لم أمُتْ أنا ؟.. لقد انطلقت الرصاصة نحو صدرى مباشرةً !!

غمغم (أحمد) فى مرارة واستسلام :

ـ لا توجد رصاصات .. إنه مسدّس صوتىّ فقط .

هتف (عصام) فى ذهول :

ـ مسدِّس صوتىّ .

صاح (عماد) :

ـ هذا صحيح .. لقد استنتجنا ذلك أنا و (عُلا) .

نهض (عصام) ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ أنت و (عُلا) ؟

ولم يكد بصره يقع على وجه الرجل ، الذى يحكم قبضته على (أحمد) ، حتى استطرد هاتفًا :

ـ سيادة العقيد (خيرى) ؟ كيف وصلتم جميعًا إلى هنا ؟

أجابه العقيد (خيرى) ، والد (عماد) و (عُلا) فى هدوء :

ـ لقد توصَّل ولداى إلى حلِّ اللُّغز منذ ساعات قليلة ، ولقد حاولا الاتصال بك فى الجريدة ، ولمَّا فشلا تملَّكهما القلق ، فأخبرانى بالأمر كله ، وأسرعنا جميعًا إلى هنا ، وأظن أننا قد وصلنا فى الوقت المناسب .

بكى (أحمد) فى ألم ، وهو يغمغم :

ـ لم أكن أنوى قتله .. أُقسم لكم .

تجاهل (عصام) قوله ، وهو يسأل (عماد) و (عُلا) فى دهشة واهتمام :

ـ كيف وصلتما إلى الحل ؟.. لقد اتفقنا على أننا لا نملك دليلًا .

قالت (عُلا) فى انفعال :

ـ بالعكس يا أستاذ (عصام) .. لقد كانت الأدلَّة بين أيدينا ، ولكننا لم ننتبه إليها فى حينها .

جلس (عصام) ، وهو يسألهما فى حَيْرة :

ـ أيَّة أدلَّة ؟

أجابه (عماد) فى حماس :

ـ حينما استرجعنا ـ شقيقتى وأنا ـ الأحداث ، استوقفتنا نقطتان هامتان ، قادتانا إلى نقاط فرعية أخرى ، مما أضاء لنا طريق الحل بسرعة .. لقد انتبهنا إلى أن (أحمد) هو رئيس فريق التمثيل فى الكلية ، وهو أقدر المشتبه فيهم ، وأكثرهم خبرة فى تبديل ملامحه ، وإضافة ذلك الشَّارب الكثّ إلى وجهه .. ثم تذكَّرنا حديثه الهاتفى مع زميله (صبرى) ، حينما أجابه بأنه مصاب بنزلة برد فخسب .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حَيْرة :

ـ وماذا تعنى هذه النقطة بالذات ؟

أجابته (عُلا) :

ـــ لقد كنّا نتصوَّر أن الضابط المزيَّف كان يبدّل صوته ، ولكن العكس هو الصحيح .. لقد كان (أحمد) هو الذى يبدّل صوته ، ويتظاهر بإصابته بالبرد ، حينما رآك ، وعرف فورًا أنك ضحية .

اتسعت عينا (عصام) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـــ يا إلٰهى !!.. هذا صحيح .. لقد استعاد صوته الحقيقى حينما كشفت أمره ، ولكننى لم انتبه إلى ذلك .

قال (عماد) :

ـــ لقد انتبه زميله إلى اختلاف صوته ، ولمّا لم يكن يستطيع التحدُّث بصوته الحقيقى فى وجودك ، فقد ادَّعَى لزميله أنه مصاب بنوبة برد .. ولم يكن ذلك ليتفق مع أدائه لتدريبات المسرحية الجديدة ، فالأداء المسرحىّ يحتاج إلى صوت قوى واضح .

أردفت (عُلا) :

ـــ وحينما توصَّلنا إلى ذلك وجدنا أن الحلّ منطقى بالفعل ، فمن غير الطبيعى أن يعود (حسن) إلى السطو بالإكراه ، بعد أن افتتح محله الجديد ، وبدأ يسعى للرزق الحلال .. أما (فريد) ، فعلى الرغم من ميله إلى العنف ، يحترم رجال الشُرطة ،

وكان يتمنَّى أن يصبح واحدًا منهم ، ثم إنه يخشى شقيقه ويحترمه فى الوقت ذاته ، ولن يجرؤ على ارتكاب جريمة مرتديًا حُلَّتَهُ .

استطرد (عماد) ، مكمِّلًا حديث شقيقته :

ـــ وهكذا لم يعُد باقيًا سوى (أحمد) ، وكانت الدلائل كلها تتَّفق مع كونه الضابط المزيَّف ، الذى سطا على نقودك وساعتك وقلمك .

ساد الصمت لحظات ، ثم غمغم (عصام) :

ـــ إنكما عبقريَّان .. عبقريَّان حقًّا .

أما (أحمد) ، فقد حدَّق فى وجه (عماد) و (عُلا) فى ذهول ، وهو يغمغم :

ـــ مستحيل .. مستحيل .. إنهما مجرَّد صبيَّين .. صبيَّين صغيرين .

قال (عصام) فى إعجاب :

ـــ حجمًا ، وليس عقلًا أيها الضابط المزيَّف .

ارتفع صوت العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى هدوء صارم :

ـــ والآن لقد انتهى كل شىء .. وسنذهب جميعًا إلى قسم الشُرطة ، لإتمام الأمر .

انهمرت الدموع من عينى (أحمد) ، وهو يقول :

ـ إننى لا أستحق ذلك .. لا أستحق ذلك .

قال العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـ لقد ارتكبت حادث سطو بالإكراه، وانتحلت شخصية ضابط شرطة و ....

قاطعه (عصام) فى خفوت :

ـ هل يمكننا أن نناقش ذلك أولًا يا سيادة العقيد ؟

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يتطلَّع إليه فى صمت ، ثم قال فى هدوء :

ـ هل تعنى أنك ترفض اتهامه ؟

خفض (عصام) عينيه ، وهو يغمغم :

ـ دَعْنا نناقش ذلك أوَّلًا يا سيادة العقيد .. أرجوك .

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة مشفقة ، ثم قال (عماد) :

ـ إننا نوافق الأستاذ (عصام) يا أبى .. سنؤجِّل مؤقتًا اتخاذ القرار ، فى قضية الضابط المزيَّف ..

* * *

١٣ ـ الختام ..

كان يومًا نادرًا ، من تلك الأيام الصَّحوة المشرقة ، التى تتسلَّل إلى منتصف فصل الشتاء ، حينما عَبَر (عصام) حديقة النادى بخطوات واسعة ، ولوَّح بذراعيه لـ (عماد) و (عُلا) ، قبل أن يشاركهما مائدتهما ، قائلًا فى مرح :

ـ كيف حال إجازة نصف السنة ؟

ابتسما ، وقال (عماد) :

ـ رائعة .

ثم سألته (عُلا) فى اهتمام :

ـ هل من أخبار جديدة ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. لقد فازت مسرحية كلية التجارة بالمركز الأوَّل لهذا العام .

ابتسم (عماد) و (عُلا) فى ارتياح، وقال (عماد) :

ـ هل تظن أنك كنت على حقّ، حينما رفضت اتهام (أحمد)، وأقنعت والدنا بإطلاق سراحه ؟

شرد (عصام) ببصره لحظة ، ثم أجاب فى خفوت :

ــ نعم .

كاد يكتفى بهذا القول المقتضب ، إلَّا أنه شعر بحاجته لشرح موقفه ، فعاد يقول :

ــ إنه شاب موهوب بالفعل ، ولقد جنى عليه والداه ، حينما أجبراه على الالتحاق بكلية يرفضها ، وهو ضحية لظروف اقتصادية رديئة ، تجبر الأهل فى بعض الأحيان على التخلّى عن وظيفتهما الرئيسية ، ألا وهى تربية الأبناء ، سعيًا وراء مزيد من الدخل والمال ، وليس من العدل أن نعاقبه على ذلك ، ونحطّم مستقبله كله من أجل زَلَّة واحدة .

غمغمت (عُلا) :

ــ كان من الممكن أن يتمادى .

هزَّ كتفيه ، وهو يقول :

ــ ربَّما .. لقد أخطأ مرَّة ، ولكنه لن يفعل ذلك الآن .. وكان من الممكن أن يتحوَّل إلى لص محترف حقًّا ، لو أننا ألقينا به فى السجن .

سأله (عماد) :

ــ وماذا عن والديه ؟

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وقال :

ــ لقد اتصل بهما والدكما هاتفيًا ، وشرح لهما الأمر كله .. ولقد أصابهما الذُّعر والجزَع فى الواقع ، مما جعلهما يلغيان عقديهما ، ويعودان إلى هنا فى أول طائرة .

وصمت لحظة ، ثم أردف مبتسمًا :

ــ ولقد كانا فى الصفوف الأولى فى عرض أثناء المسرحية ، وكانا من أشدِّ المتحمسين والمصفقين لابنهما .

غمغمت (عُلا) :

ــ لقد اقتنعا بموهبته إذن .

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ بل أكثر من ذلك .. لقد اقتنعا بضرورة التحاقه بمعهد المسرح .

سأله (عماد) فى لهفة :

ــ وهل سيفعل ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ نعم .. مع بداية العام الدراسى القادم بإذن الله .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

ــ ولست أشكّ فى أنه سيثبت تفوُّقًا ، ولن يلبث أن يصبح

واحدًا من أبرز ممثلى المسرح ، وأكثرهم براعة ، وربَّما أصابنا الزَّهو يومًا ؛ لأننا نرتبط بصلة صداقة مع النجم العالمىّ (أحمد عبد الرحمن) .

ابتسم (عماد) و (عُلا) لمرحه ، وعاد الصمت يغلفهما لحظة ، قبل أن تقول (عُلا) :

ــ ألم تندم على فقدك تحقيقًا جيِّدًا ؟

عاد إلى شروده لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

ــ نعم .. فلقد ربحت فنَّانًا أصيلًا .

ثم ضحك وهو يردف :

ــ ثم إننى قد استعدت نقودى وساعتى وقلمى .

ضحك الثلاثة فى مرح ، ثم نهض (عصام) ، وهو يقول :

ــ أعتقد أنه قد حان الوقت لانصرافى ، فلدىَّ موعد هام .

سألته (عُلا) :

ــ هل حان موعد الجريدة ؟

ابتسم فى خجل ، وهو يغمغم :

ــ لا .. إنه موعد آخر .

سألته فى دهشة :

ــ إلى أين إذن ؟

تضرَّج وجهه بحُمرة الخجل ، وهو يغمغم :

ــ إلى اتحاد الملاكمة .

تألَّقت ضحكة فى عينى (عماد) ، وهو يقول :

ــ هل تنوى ....؟

قاطعه (عصام) فى حِدَّة :

ــ ولِمَ لا ؟.. إنكما تقومان بدَوْر العقل ، وتتركان لى لُعبة العضلات .. من الضرورىَ أن أعمل على تنميتها إذن .

ثم استعاد مرحه فى سرعة ، وهو يستطرد :

ــ حتى أستحق لقب (ع×٣) على الأقل .

ضحك الثلاثة فى مرح ، ثم قالت (عُلا) فى حزم :

ــ إنك عضو فى الفريق بالفعل يا أستاذ (عصام) ، ومهما زاد العدد ، أو نما الفريق ، فسيظلّ يحمل دومًا اسم وانتصارات فريق (ع×٢) .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/٣٥٤١

المؤلف

د نبيل فاروق

قضية الضابط المزيف

- ضابط مزيف يسطو على المارة بالإكراه ، ويوقعه القدر فى حادث سطو على الصحفى (عصام) ، صديق فريق (ع×٢) ، ويقرر الفريق تعاونه (عصام) كشف سرّ الضابط المزيف ..
- ترى .. كيف يحل فريق (ع×٢) لغز هذه القضية الجديدة ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وحاول أن تسبق (عماد) و (غلا) إلى حلّ اللغز .

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر ... مليم
وما يعادل دولا...
فى سائر الدول العربية ...

العدد القادم

(قضية الحريق الغامض)